دراسات
في
الفكر والثقافة اليابانية

إعداد و تأليف

د. علاء على زين العابدين

قسم اللغة اليابانية وآدابها

كلية الآداب – جامعة القاهرة

دراسات في الفكر والثقافة اليابانية

المؤلف:

د.علاء علي زين العابدين

تصميم الغلاف:

م/ سامر محمود

التنسيق الداخلي:

الصالح للكمبيوتر والكتاب

الناشر:

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر

رقم الإيداع:

2005/16457

الترقيم الدولي:

977-380-058-x

سنة الطبع

1426 هـ / 2006 م

العنوان:

٤٣ب شارع رمسيس. أمام جمعية الشبان المسلمين

- الدور السادس - شقة ٧١ - معروف.

المراسلات:

القاهرة11518 محمد فريد 202ص.ب:

هاتف: 5761400(202)

فاكس: 579907(202)

إدارة المبيعات:

0101636192-0124940270
0124068553-0127221936

البريد الإلكتروني:

daralaloom@hotmail.com
daralaloom2002@yahoo.com

مُقَدِّمَة

مـامن أمـة إلا وأعطاهـا الله أسـباب الـتقدم والرقـي فإن أحسنت استخدام هذه الأسـباب نالـت مـا تبتغـيه وارتقـت مـع الأمم الراقية ، أما إن تجاهلت هذه الأسباب وأسـاءت فهـم سنة الله في الكون فقد تخلفت عن ركب الحضارة وفقدت أهليتها كأمة إنسانية..

والـيابان مـن الأمـم التـي أحـسنت اسـتخدام الأسـباب الكونـية ووظفـتها خير التوظـيف لإنجـاح مـسيرتها في الحـياة، ومـنذ القـدم واليابان تحرض على فهم حكمة الطبـيعة والانسجام مع حركتها انسجاماً لا يخلق عداءً لها أو خوفاً منها ، فالطبيعة التى حـباها الله بهـا هـى مـصدر حياتها ومنها استوحت فلسفتها في الحياة والموت، ولم يكن هـناك بـد مـن المحافظـة عـلى جمالهـا وعـدم تدميرها لأنها تمثل إكسير الحياة ولقد آمن اليابانـيون – شـأنهم شـأن مجتمعات الشرق– بوجود آلهة تكمن في هذه الطبيعة تمدهم بالخـير أو تمنع عنهم الشر فأقاموا طقوسهم الدينية لإرضاء هذه الآلهة وظلت اليابان – وإلى يومـنا هذا –ترفض الأديان العالمية – السماوية وتقيم حجتها وبراهينها على أساس التـنوع في الـثقافة أو النـسبية في المعايـير هـروباً مـن الخضوع لأى هيمنة ثقافية أجنبية رافضة التخلى عن أفكارها القديمة التى لا تتناسب مع مكانتها العالمية في عالم الصناعة والاقتـصاد معتـبرة ذلـك حقـاً من حقوقها المشروعة في الاعتقاد حتى ولو كان اعتقادً خرافياً..

إن الـيابان وإن كانـت لم تتحول نحو العالمية في مسألة الاعتقاد إلا أن هناك قلة من

اليابانيين المستنيرين الذين جابوا الأرض بحثًا عن الحقيقة ووصلوا إلى قناعة بحتمية التغير في قضية الاعتقاد ، وربما خلصوا إلى أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذى يصلح للإيمان والاعتقاد ولكن الخوف من الغرب الذى يتحكم في مصالح العالم، ومظاهر التردى الحضارى الذى تعيشه بلدان العالم الإسلامى ينعكس سلباً على قرارهم بتبني المشروع الإسلامي .. إن اليابان تعيش مرحلة دقيقة في تاريخها المعاصر فهى تبحث عن هوية تستمد منها القوة والتفوق على الآخرين ، ولكي تهدم المعبد القديم لابد من إرادة فولاذية يصنعها أبناؤها الأحرار.. إن الطريق مفتوح أمامهم لتبنى فكرة الوحدة الآسيوية .. ذات الأغلبية المسلمة – تحت علم اليابان مستخدمة قدراتها التكنولوجية والاقتصادية لتحقيق هذه الوحدة ، إذا أظهرت الود نحو الإسلام وأكدت ذلك في دستورها . وهذا هو موضوع العصر وقضية اليابان المعجزة..

المؤلف

د/علاء على زين العابدين

قسم اللغة اليابانية

كلية الأداب جامعة القاهرة

٢٠٠٥/٩/١٦

رحلة إلى بلاد الوقواق

لعل ما دفعني إلى المغامرة و السفر إلى بلاد الوقواق هو رغبة جادة لمعرفة حقيقة أمة حرمت من الاتصال بالعالم الخارجي لمدة قرنين من الزمان وقد يزيد، إن اليابان لم تُعرف تاريخيا بهذا الاسم إلا مع مطلع القرن السابع عشر حينما غزا المبشرون الهولنديون أرض اليابان وبدأوا يتعرفون عليها ويدرسون لغتها بجهدهم الذاتى وأخذوا يترجمون ما عرفوه إلى لغتهم الأم سواء أصابوا فى ذلك أم أخطأوا.

نظرت فى وجوه هذا الشعب فوجدت الجدية والصرامة والشعور بالمسئولية تجاه وطنهم الكل لا تغيب عن ذاكرته قيمة العمل واحترامه وحب اليابان والرغبة فى الانتماء.

علاقة العرب باليابان لم تبدأ تاريخيا إلا مع مطلع القرن (التاسع عشر أو العشرين) وبصفة خاصة بعد أزمة البترول الطاحنة فى أكتوبر ١٩٧٣.لقد شعر اليابانيون حكومة وشعبا بأهمية الاتصال بهذه المنطقة العربية وأخذوا يلتمسون إلى ذلك كل وسيلة ممكنة؛ وبدأ المتخصصون اليابانيون فى انتهاز تلك الأحداث ليترجموا الكتب العربية المهمة وأعظمها "القرآن" إلى لغتهم الأم.. لكن لم تكن العلاقات تزيد على الرغبة فى تأمين مصالحهم فقط والتأكيد على حسن نواياهم تجاه أمة العرب.

لقد بدأت حياتى الفعلية مع الشعب اليابانى حينما وطأت قدماى أرض اليابان فى أكتوبر ١٩٨٢ إثر بعثة دراسية لدراسة الآداب اليابانية، لم يكن الأمر بالشىء الهين ثقافيا ولا علميا. أما ثقافيا فلا توجد عندهم أرضية مشتركة مع الثقافات ذات الصبغة العالمية فهى ثقافة ذاتية محدودة. وأما لغوياً لا تنتمى اللغة اليابانية إلى أى من الأسر اللغوية المعروفة عالميا؛ فهى تختلف تركيبا ومعنى عن اللغات الأوربية أو حتى الشبيهة لها كالصينية والكورية. لقد كان الأمر نوعا من المغامرة طمعا فى المعرفة واستجلاب الحقيقة ونوعا من التجربة الفريدة النادرة مع شعب نسمع عنه ولا نعرف حقيقته وجذوره. حينما سمعت عن اليابان فى بداية حياتى الدراسية بالجامعة قارنتها مع الدول الأوربية المتقدمة باعتبار أنها قادرة على التصنيع والمنافسة ووضعتها على قدم المساواة مع قرينتها الغربية؛ لكن بعد أن وطأت أرض تلك الجزر النائية وجدت اختلافاً جذرياً بين اليابان على أرض الواقع وبين اليابان خارج حدودها...لقد أدركت حقيقة الدعاية الفذة التى استخدمتها تلك الدولة لمحو كل أثر يعرقل مسيرة صناعتها

وتجارتها مع العالم الخارجى.. لقد أدركوا سلطان العصر وآمنوا به، وأعدوا أنفسهم لمعركة هم طرف فيها.. إنها معركة البقاء والرغبة فى إثبات الذات ونبذ الفرقة وتقوية الإحساس بالانتماء للوطن. نعم لقد رأيت اليابانيين يتنافسون مع أغنى الدول رغبة فى تضييق الفجوة بينهم وحباً لاستقلال أنفسهم من التبعية للغرب ومخالبه، لقد ساعدهم على ذلك عقائد بسيطة لا تحرم حراما ولا تحلل حلالا لكن تؤكد شيئا واحدا هو الانتماء للأرض والأجداد وترفض الفردية والتناحر.. شعرت بالخزى والحياء من نفسى لأن الانتماء فى منطقتنا أصبح عملة نادرة يصعب الوصول إليه، بل ساورنى شك عميق فى تحقيق ذلك.

لقد أكدت معاملات هذا الشعب مع جيرانه الأسيويين وجود أسطورة يابانية صنعها رواد الفكر القومى تجعل منهم شعبًا لا يقهر وأرضا مقدسة وإمبراطورًا مؤلها.

نعم، لقد شاءت الأقدار أن يحرم هذا الشعب من تحقيق حلم الإمبراطورية العظمى إبان الحرب العالمية الثانية.. لقد آمن هذا الشعب إيماناً مطلقاً بفكر قادته وقدسية إمبراطوره، واتجهوا إلى العلم الحديث لتأكيد قوتهم وتحقيق مآربهم.. ترى هل كانت اليابان محقة فى حربها لجيرانها الأسيويين واحتلالها لأراضيهم ؟ الحقيقة أن هناك لغزا ما زال غامضا لدى الكثير من الباحثين فى شئون اليابان ألا وهو إيمان هذا الشعب الشديد بمصلحته فقط واستغنائه الكامل عن التعاون مع الآخرين.. ذلك اللغز المحير يفسر سر اندفاع هذا الشعب وراء قادته وتحت اسم إمبراطورهم فى حرب شرسة مع العالم أجمع لتحقيق شىء واحد ألا وهو اليابان العظمى.. ورغم أن الحرب من الناحية العسكرية انتهت بهزيمة دولتهم، لكن الروح الباقية لم تمت بعد، إنهم مصرون على الحنث العظيم واحتلال العالم أجمع وتأكيد قوتهم.

لقد شعرت بشىء جديد فى معاملاتى معهم علميا وثقافيا، شعرت أن هناك رغبة منهم فى المنافسة والبحث من جانب، وبعدا عن الجدل السوفسطائى من جانب آخر.. إن الجانب العلمى فى حياتهم جعلهم غير متمسكين بالشعارات الرنانة والجدال العقيم، ولو أن ذلك ترك أثره الواضح على نهضتهم الإنسانية وحرمهم من الدخول فى عصبة الأمم المتحضرة، بل ما زالت اللغة اليابانية غير معترف بها كلغة دولية حتى الآن.

نعود من جديد إلى حقيقة كلمة "الوقواق" وأصلها التاريخى الذى يبدو غامضا لدى كثير من القراء العرب فالكلمة أصلها اليابانى هو "واقوقو" وهى التسمية التى أطلقها الأسيويون وبصفة خاصة الصينيين والكوريين على دولة اليابان قديما، وقد تناولها التجار

المسلمون من خلال احتكاكهم مع قرنائهم الصينيين. ولا يوجد ثمة دليل على وجود اتصال بشرى بين جزر اليابان والحضارة العربية ونعزو ذلك إلى فترة الانغلاق الطويلة التى شهدتها اليابان ودامت قرنين من الزمان وكان ذلك وقت بزوغ الإسلام وانتشاره شرقا وغربا.

وهناك مرويات ضعيفة تثبت وجود اتصالات على مستوى عال بين حكومة اليابان فى ذلك الوقت والمعروفة باسم "الباكفو" وسلاطين مصر فى العصر الحديث.. وإثبات ذلك من الناحية التاريخية يحتاج إلى وقت وجهد غير عاديين خاصة أن مصر فى ذلك الوقت كانت خاضعة للحكم التركى، وأن الوثائق الدالة على ذلك مكتوبة باللغة التركية فقط.

إن الحديث عن اليابان لابد أن يمر بترجمة حقيقية لعقائد اليابان فى الألوهيات وطرائق تفكيرهم فى حياتهم اليومية ثم فى النهاية منظور العالم الخارجى عندهم، أما عقائدهم فى الألوهيات فإنها لا تربو على عبادة الفرد ممثلة فى شخص الإمبراطور وأسرته ورواد فكر الدولة المميزين، كذلك نجد تقديسا واضحا للطبيعة وجمالها يصل إلى حد العبادة وإقامة الطقوس والأعياد الخاصة بكل موسم، وأما طرائق تفكيرهم فى حياتهم اليومية فإنهم لا يعرفون معنى غيب أو إله غير مرئى، وبالتالى فإن تصوراتهم لا تزيد على ماديات فقط، وأخلاقهم مرتبطة بهذا النظام المادى.. لذلك لا يوجد فى قواميس اللغة اليابانية كلمة "إله" كما هو معروف فى الإنجليزية باسم "جود" بل يقولون "كامى ساما" ويرمز إلى السيد أو الشخص ذى النفوذ والقوة.

أما منظور العالم الخارجى عندهم فإنه يخضع لمقاييس دقيقة جداً فإذا ارتبطت مصالحهم بدولة معينة فإنهم يوجهون جهدهم تجاه تلك الدولة أو الثقافة التى تحملها هذه الدولة، وأقرب مثال على ذلك هو علاقة السيد والمسود التى تصبغ علاقات الأفراد والجماعات بين الشعب اليابانى.. إنها رمز لقانون الطبيعة الذى يحكم القوى والضعيف، فليس ثمة أخلاقيات ثابتة توفر الأمان للضعيف والاستقلال فى الرأى بل يجب أن تكون تابعًا ومتبوعًا ولولا ذلك ما ضمنت اليابان تماسكها أمام التحديات الخارجية، إنه أشبه ما يكون بنظام هرمى هيرالكى يقف على قمته الإمبراطور ودولته، ثم يقف أسفله الشعب اليابانى بأكمله كل حسب رتبته وقوته أو ضعفه.

جذور الفكر والثقافة اليابانية

I. مفهوم كلمة "ثقافة" في المصطلح الشائع[1] (BUNKA)

ارتباط الفكر بالثقافة شيء بديهي في بعض الثقافات التقليدية، فالفكر هو نتاج ثقافي، والثقافة هي نتاج إنساني ترسب على مر العصور ليتحول إلى طريقة حياة وطريقة تفكير في آن واحد. لايوجد فصل بين الثقافة والفكر في حياة الشعب الياباني، **فالثقافة هي مجموعة الأفكار والعقائد والقيم التي يتمسك بها أي شعب في حياته الخاصة والعامة، والثقافة قد** تعني في لغة الشعوب **التراث القومي بكل ما يحوى من قوة وضعف وعلم وجهل وتجربة إنسانية وفلسفة حياة**. إن اليابان مدينة في حاضرها المعاصر إلى طريقة تفكير القدماء ونظرتهم التقليدية إلى الأشياء ومفاهيمهم نحو الطبيعة والدين والإنسان.

إن البيئة اليابانية الطبيعية هي التي أفرزت طريقة تفكير القدماء وفلسفتهم في الحياة، فالحكمة مستوحاة من تجارب السنين التي تناقلتها الأجيال وحافظت على أسرارها، فالجديد عندهم لاقيمة له دون الرجوع إلى الماضي وربطه بالحاضر، وهنا تكمن الأصالة بمعناها الفريد الممتد عبر العصور، فالشعب الياباني يجد ضالته المنشودة وهويته الروحية في كل ما يربطه بالماضي ولو كانت أساطير وخرافات...

إن فلسفة الشعوب في الحياة قد تختلف من ثقافة إلى أخرى حسبما تمليه عليهم مقتضيات الواقع، فالبيئة اليابانية التي أنجبت هذا الشعب هي بيئة تحكمها ظروف المناخ وتقلباته، وعمل الإنسان هنا في التفاهم والانسجام مع هذا الواقع ولو كان ضد إرادته...

لقد عاش الشعب الياباني في ظل هذه الظروف الطبيعية بكل خيرها وشرها وأنبتت في داخله الرضا بالقضاء وقت الشدائد، والحمد والشكر وقت الرخاء والنعمة، إن كلمة الشكر التي يترجمها الإنسان الياباني في ممارساته اليومية تؤكد بلا شك احترامه لإرادة الله في الأرض

(١) كلمة "ثقافة" في اللغة اليابانية تتألف من مقطعين : الأول BUN ويعني حرفياً الجملة المكتوبة – الكتابة – العلم – التعليم، والمقطع الثاني KA يعني تطبيع الكلمة، أو تطويع أو تطبيق العلم – وكلاهما مختصر لعبارة : BUNMEI-KAIKA وتعني الحضارة والتنوير، والتعليم المستنير والتطور عموماً.

وعدم تمرده أو عصيانه له. إن الطبيعة فى نظرهم هى مصدر الاعتقاد والنعم والحياة، فالإنسان ابن الطبيعة ولا يوجد عندهم تصور أبعد من حدود بيئتهم، ولافلسفة تتعدى آفاق سمائهم وبحارهم، فالنظرة الكونية محدودة بحدود اليابان فهم لديهم انتماء عرقى لأرضهم وجنسهم ولونهم.

II مفهوم كلمة" فكر" فى المصطلح الشائع[1] (SHISO)

تتفاوت وتتباين الثقافات فى تحديد مفهوم مصطلح "**الفكر**" فلكل ثقافة منابع لغوية تحدد المعنى المراد استخدامه، وهذا المعنى قد يختلف من جنس إلى جنس حسب درجات رقى هذا الجنس، ونظرًا لتطور وسائل الاتصال وتبادل المعلومات فقد أصبحت للعالم لغة سائدة ولغة محلية ولم يعد هناك أى اهتمام بالتباين الثقافى أو اللغوى نظرًا لهيمنة لغة الإعلام الغربى على العالم بأسره، فأصبح العالم يسمع ويرى ويتكلم طبقا لمنظومة الفكر الغربى وبالأخص الامريكى، وهذا هو الواقع الحالى دون مواربة أو معارضة.

ونرجع إلى تحديد معنى" **فكر**" كما يفهمه العالم بداية من العصر الحديث على وجه التحديد، فنجد أن كلمة" **فكر**" فى لغتنا العربية جاءت من" **تفكير**"، وأن "**الفكر**" هو اسم تفضيل يعنى صيغة تفخيم وتشريف وبالتالى تعبر كلمة" **فكر**" عن النظام الفكرى فى أعلى درجاته المرجوة... **وأهل "الفكر"** هم صفوة الناس وأحكمهم وأرجحهم عقلا... فإذا أضفنا إلى هذه المعانى الشائعة ما وصفه الله من أهمية العقل واحترام أحكامه، فإن ذلك يزيد من وضوح المعنى ورسوخه. فأولى الألباب هم ذوو العقل والفهم السديد والرؤية الثاقبة.

وعلى النقيض هم البلداء الذين لا يعقلون ويتركون الأمور دون تدبير أو تدبر ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤] ولقد مدح الله هؤلاء الذين يعقلون الأمور ويفهمون المعانى ويتدبرون عواقب الأمور﴿ **إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِى الْأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٢١] فالله يصف أهل العقل بأنهم ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [آل عمران: ١٩١] قائلا فى آية أخرى ﴿**إِنَّ فِى**

(١) كلمة "فكر" فى اللغة اليابانية تترجم إلى كلمة : "SHISO"، وأحياناً Shiko وكلاهما يعنى نظام التفكير العقلانى، وطريقة فلسفة العقل Risei ولم يكن هناك فاصل بين كلمة "Shiso" وكلمة أخلاق RINRI أو DOTOKU فى ظل قانون الجماعة.

خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .... فأولى الألباب هم أكثر الناس فكرا وأرجحهم عقلاً وأصفاهم روحا ونفساً.. وأهل الله، خاصة وهم أهل القرآن الذين يحترمون العقل ويلتمسون الهداية به....

وإذا كانت كلمة" فكر" هى لغة العقل السديد فبالتالى لابد وأن يتسم هذا الفكر بصفة العقلانية فنجد أن القدماء رأوا أن التفكير سمة العقلاء الحكماء فأرسطو يقول: **"أنا أفكر إذاً أنا موجود"** ولكن للعقل آفات أيضاً فآفة العقل الميل مع الهوى، والهوى هو اختلاط الخرافات بالحقائق والجهل بالعلم دون تمييز أو تفريق، فالعقل السليم هو العقل الذى يرفض الخرافة التى تقيد حركته وتعوق انطلاقه ويحترم المنطق السديد، ولعلها أشد هذه الآفات خطراً، فإذا أحاطت بالعقل خرافات وأساطير باطلة صار العقل أسيراً مكبلاً عاجزاً عن الوصول للحقيقة التى هى بُغية العقل. لكن لابد لكى يتحرر العقل من كل ما يعوق حركته أن يتم فصل العقل عن الاعتقاد الخرافى أولاً، ثم تحديد القواعد التى يتحتم على العقل التزامها لتحقيق المهمة التى من أجلها خُلق... فالعقل هو المصباح المضيء لحركة الإنسان وخطواته، ولولا العقل لتحولت الأرض إلى مستنقع من الدماء، ونور العقل ذاتى منذ أن فطر الله الإنسان على التفكير، فبالعقل يهتدى الإنسان إلى الحقائق المادية ويتسع الإدراك العقلى ليشهد الحقائق غير المرئية من غيبيات بطريق الاستدلال أو الاستنباط... ولقد آمن الإنسان حين رأى وفكّر واستنتج قبل أن تبدأ الرسالات السماوية، فقصة سيدنا إبراهيم هى خير دليل على صحة العقل فى استدلاله، فالعقل هو أداة المعرفة الأولى والذى تعمل معه وتساعده أدوات الحس من بصر وسمع ولمس. ولم يترك الله الإنسان وحيدا فى هذه الأرض دون إرشاد، فقد صمم له كونا بديعا مليئا بالعجائب التى تدل على صانعها والتى يعجز العقل عن إنكارها، لأنها حاضرة قائمة أمامه وهى بمثابة دلائل على قدرة الخالق وليست إلا شواهد يقف أمامها العقل وقفة إجلال وتقديس وإقرار بعظمة الصانع، ولأن الكون فى شكله المادى يستنفذ طاقة العقل بحثا وتأملا فإن الوصول لكل الحقائق شبه مستحيل، ولا بد لكى يستنير العقل بكل المعانى أن يستعير المعرفة من باب "العلم" فالعلم هو الغذاء الطبيعى للعقل، ونظرا لأن العلم هو نتاج عمل العقل من جانب، وخلاصة تجارب الآخرين من جانب آخر فوجب على طالب العلم أن يحترم العقل والتفكير العقلانى ولعل من البديهى أن تكون هناك علاقة بين العلم والعقل، فالعلم يقوم على ثوابت وارتكازات عقلانية.

أولها العلاقة بين الأسباب، **وثانيها** احترام النتائج المترتبة على هذه العلاقة، **وثالثها** رفض عكس ذلك من احتمالات غير منطقية...

ونظرا لأن بداية العلم التفكر، والتفكر بمعنى التفكير الدقيق المنظم فإن هذه الخطوة تعد أساسًا لكل نظرية علمية، والفكر إذ لم يتم على أسس عقلانية وقياسات علمية أصبح ضرباً من الخيال والوهم، وإن كان الفكر العقلانى يرفض ذلك فإن تحديد معنى الفكر لايشترط فى معناه كونه فكراً عقلانياً أو فكراً خرافياً، وذلك لأن الفكر فى معناه الشامل يعنى طريقة التفكير بغض النظر عن كونها مقبولة عقلا أو مرفوضة، ولذا وجب التنويه فالجانب العقلانى كما صاغه رواد الفكر يرفض ما دون ذلك من أنماط التفكير السائدة فى المجتمعات النامية حيث تتفاوت مستويات الفكر حسب مستوى التعليم والفكر البشرى، وبالتالى تتفاوت درجات التحضر بين الدول على حسب التفاوت فى مستويات الفكر بين الشعوب.

ونظرا لأهمية العلم فى رفع مستوى فكر الشعوب، فإن التقدم فى مجالات العلم المختلفة يسهم بقدر كبير فى ترقية فكر الشعوب وصقل مواهبه ولاسيما إذا ارتبط العلم بالحياة وانتظمت هذه الحياة بنور العلم.

III. طبيعة الثقافة اليابانية (NIHON BUNKA NO SEISHITSU)

إن اليابانيين قد امتلكوا تاريخًا وتقاليد ضاربة فى القدم، فى ذات الوقت أبدعوا نماذج ثقافية فريدة لا تزال حية إلى الآن. ترى أى نوع من الفكر كان يمتلكه هذا الشعب ؟ وكيف كانوا يحيون به؟

فى هذا الفصل سوف نلقى نظرة شاملة على خصائص الفكر والثقافة اليابانية. من خلال التعرف على البيئة الطبيعية التى شكلت الأساس الذى أنبت هذه الثقافة، ويعد ذلك نتناول التركيبة الثقافية المعبرة عن خصوصيات الثقافة اليابانية. إلى جانب ذلك مفهوم الطبيعة عند اليابانيين ومدى ارتباطها بالدين.

أ - الأرض اليابانية (FOUDO)

إن كلمة (فودوا) تعنى الخصائص الطبيعية، من مناخ وتضاريس وتربة وكائنات حية ونباتات. ثم أثر ذلك على طريقة تفكير ونمط الحياة اليومية للإنسان اليابانى الذى اندمج واتحد معها.

إن أغلب الأرض اليابانية تنتمى إلى التقسيم المناخى الموسمى الدافئ ،وبسبب الدفء

فكمـية الأمطـار غزيرة، وغنية بتغير المواسم. خاصة فى الصيف حيث الدفء العالى والكثير وارتفـاع درجـة الحـرارة بـشكل ملحـوظ و زائد. فإن ذلك يكون مناسبًا لزراعة الأرض فى الحقـول الغارقة فى الماء. وعليه فقد تطورت ثقافة الحياة المتمركزة حول صناعة الأرز ،كذلك فـإن تعـدد المواسـم بشكل واضح جعل الأعياد المرتبطة بالمحاصيل متنوعة بتنوع الزراعة مما أعطى لحياة الناس لونا، ونبتت حساسية –عند الانتقال من موسم إلى أخر.

عـلى هـذه الوتـيرة فإنـنا نجـد الطبـيعة فى الـيابان تبدى شكلا مخيفا فى وقت الأعاصير والفيـضانات، ولكـن عـلى أى حـال فهـى تمتلئ بالخير والنعم وبسبب الدفء فإن اليابانيين يتقبلون عمل الطبيعة وأفعالها – (يتعايشون وينسجمون مع الطبيعة) وطوروا طريقة حياتهم فى منظومة متوافقة مع حركة الطبيعة.

لم ينظـر اليابانـيون إلى الطبـيعة عـلى أنهـا شىء يمكن أن يصطدم مع حياة الإنسان ، بل حاولـوا أن يجـدوا ضـالتهم فى الاسـتمتاع بكـل ما تجود به من خيرات ونعم. إن هذا الفكر الفـريد الـذى تحلى به اليابانيون جعل هناك اتجاها لجعل الذات من داخلها وخارجها، أو قل عـالم الـباطن وعـالم الظاهـر شـيئًا واحدًا لا يتجزأ. ونلاحظ كذلك أن هناك اتجاهاً لاحترام النظرة الكلية للأشياء عن النظرة الجزئية الضيقة.

ب - التراكمات الثقافية (BUNKANO-JUSOSEI)

الـيابان دولـة جـزرية تقع وسط البحار على الحافة الشرقية للقارة الأسيوأوروبية. وهى تقـع عـند منتهـى الحـضارات التـى امـتدت نحو الشرق. فى هذا المكان كان من السهل بقاء الثقافات القديمة، ولكنها بقيت وتراكمت على مر العصور دون أن تفقد خصوصياتها ويطلق عـلى هذه الخاصية اسم (**خاصية تراكم الثقافات**)، وتعتبر هذه إحدى سمات الثقافة اليابانية. فإذا أخذنا مثلا الديانة، نجد أن الشنتوية التى لها جذور ضاربة فى العصور السحيقة، وغيرها مـثل البوذية التى انتشرت فى العصور القديمة والوسيطة، إلى جانب المسيحية التى دخلت فى العـصر الحـديث، قـد تعايـشت معـا فى الـيابان. ليس فقط فى مفهوم الاعتقاد بل نجد أيضا الفنون والعادات الاجتماعية ونمط الحياة وغيرها.

وفى كـل الجـوانب المخـتلفة للـثقافة نجـد هـذه الخاصـية فى الثقافة اليابانية. إن خاصية الـتراكم الـثقافى تـرجع إلى أنـه فى الوقت الذى كانت اليابان تقبل الثقافة الواردة من الخارج بإيجابية كانت تذوب وتتعايش مع الثقافات السابقة عليها.

نجد كذلك أن اليابانيين من القدم كانوا متسامحين نوعا ما تجاه كل الآراء والأفكار الواردة من الخارج.

فإذا أخذنا مثالاً واضحاً نجد أنه عند إدخال البوذية لم يحدث تصادم عقائدى بينها وبين العقائد الموجودة قبلها مثلما حدث فى تاريخ أوروبا من اضطهاد دينى فظيع أو صراعات وحروب بين الشرعية و المخالفين، أيضا فقد انسجمت البوذية واتحدت مع العقائد السابقة لها، وأنجبت فكراً وعقيدة مركبة من الشنتوية والبوذية وهذا يعكس فلسفة اليابان الأخلاقية من القدم. وإن مثل هذه الخصوصية قد تكررت أيضا عند إدخال الفكر الغربى الحديث.

ففى الوقت الذى أدخلت اليابان الثقافة والعلوم الغربية فى عصر ميجى (١٨٦٨) بشكل واسع فإنها قد حافظت جيدا على التقاليد الروحية لليابان حتى ليقال إن اليابان من أكثر البلدان فى العالم التى تجمع كل من فكر الشرق والغرب. إن هذه النقطة تعد إحدى مميزات الفكر والثقافة اليابانية.

IV الفلسفة الروحية لليابانيين

أ - الدين والطبيعة

إن نظرة اليابانيين للطبيعة لاتزال كما هى مرتبطة بالاعتقاد، كما أصبحت هى نفس نظرتهم للإنسان، وأصبح لكل منها علاقة متداخلة ومتبادلة. فيما يتعلق بالفكر اليابانى القديم قبل دخول البوذية والكونفوشيوسية فإننا يمكن تصوره من خلال الموروثات التى نقلت فى كتاب (الكوجيكى) و (النيهون شوكى) وغيرها.

وكما هو الحال فى كثير من المجتمعات البدائية فى العالم فإن اليابانيين كانوا يعتقدون فى وجود أرواح مقدسة تكمن فى ظواهر الطبيعة ابتداء بالشمس والقمر ثم البحر والجبل والنهر والأشجار والأحجار الكبيرة والحيوانات وغيرها من الأشياء غير العادية والتى تبدو غريبة أو ذات قوة كانوا يخشونها ويعتقدون أنه تكمن فيها أرواح علوية. إن أصل المعابد (جنجا) كانت عبارة عن أراض مقدسة طبيعية تسكنها قوى روحية وخارقة يمكن أن تنفع أو تضر. مثل هذه القوى الروحية الطبيعية، جسدت تدريجيا لتأخذ شكل إنسان أسطورى مثل أسماء الأجداد والآلهة الحامية لها فى مجتمعات النبلاء فى عصر كوفون الذى جاء بعد ذلك.

إن معابد الأوكامى فى محافظة نارا يعتبر مجمع الآلهة فى جبل ميوا. إننا يمكن أن نرى فى

حرم المعبد الأشجار والأحجار الكبيرة الملفوفة بالحبال لكن تلك الأشياء عبارة عن مظهر متبقى إلى الآن ويعبر عن طبيعة الاعتقاد عند القدماء.

إن اليابانيين لديهم إحساس بالخوف تجاه بعض عناصر الطبيعة المختلفة ويعتقدون بوجود أرواح تكمن فيها وبالتالى يعبدونها ولا ينكرونها.

ب - الطبيعة والحياة

إن الشنتوية كديانة قومية قد تطورت من إحساس دينى بدائى يدور حول عبادة الطبيعة إلى أن أخذت شكلها كديانة بعد أن دخلت البوذية إلى اليابان كديانة عالمية متطورة.

إن الآلهة التى كانت مصدر خوف ورعب فى بدايتها أصبحت مألوفة بالنسبة للإنسان (وأصبح من المعتقد أنه) طالما أن الإنسان إذا ما احتفل و أقام الشعائر لتلك الآلهة فإنها ستتجاوب معه، وأصبحت تقام لها الاحتفالات الدينية فى المعابد.فوق ذلك فقد أصبح من المعتقد أن آلهة الطبيعة فى الأصل هى نفس الآلهة القبلية البشرية.

ما إن انتقلت البوذية حتى انتظمت العقائد اليابانية القديمة فى المنظومة الكبرى للتعاليم البوذية ويعتقد أن فكرة الإله بوذا فى الديانة البوذية وطريق المعرفة ظهرت وأخذت شكلا يتفق مع العرف اليابانى وطبيعة الاعتقاد اليابانية. ويطلق عليها اسم **(هونجى سوياكى)**، فمثلا الإله الأعظم لليابانيبن. (اما تيرسا) قد تقمص شكل الإله بوذا (نيوراى) وغيرها، وتعنى كلمة (هونجى) بوذا فى شكل معين وتعنى كلمة (سويا كى) تقمص شكله.

هذا الفكر المندمج للشنتوية والبوذية يعد الأساس العقائدى للديانات اليابانية التقليدية حتى ما قبل العصر ا لحديث.

إن الإله العظيم (اماتيراسا) قد جسد إلها للشمس. أما الإله بوذا (نيوراى) فإنه يعد أصل بداية العالم، وكما هو متوقع فإنه تجسد كإله للشمس، ومن العصور الوسطى نجد أن طريق الآلهه (تندو) كانت تعنى الإله المتربع على السماء والأرض وهى بالمثل تعنى الشمس. وأخذ الناس يتعبدونه كإله للسماء، لأن الشمس هى مصدر كل الحياة الطبيعية، وهذه فى ذاتها حياة لا يستهان بها.

إن محور الأديان اليابانية التقليدية كانت فى توجيه الإيمان نحو مظاهر الطبيعة.

بعد أن تطورت فنون المعرفة الحديثة بدأت طريقة التفكير الحديثة تتحول إلى غزو

الطبيعة واستغلالها مما أصبحت تهدد حياة البشر، يبدو أننا بحاجة إلى أن نقدر فضل الطبيعة وأن نبعث الحياة من جديد فى قلوب القدماء.

٧ - مدخل إلى الفكر اليابانى الحديث

لا توجد دراسة شاملة عن التاريخ الفكرى للأمة اليابانية، وهى حقيقة فى ذاتها دالة على الضآلة التاريخية نسبياً التى عمل على موضوعها اليابانيون، وبطريقة أخرى لا يوجد مجرى واحد للفكر ممكن أن يخدم كإطار مرجعى لتحديد العلاقة المتشابكة بين الفلسفات والأفكار لكل العصور التاريخية لليابان وبالتالى تحديد الموضع النسبى لكل الآراء الأيديولوجية.

إن فترة ما قبل الحداثة وما بعدها قد التقت معا فى موضع يثير الفضول فى اليابان لتشكل العصر الحديث إلى عناصر من البوذية والكونفوشيوسية والشامانية والفكر الغربى كلها تعيش معا تحت سقف واحد، لأن الفكر التقليدى ممثلا فى الخط الأصلى للموروث الفكرى للأمة لم يتأثر من ذاته بل كان مستجيبًا لتأثير خارجى على الدوام.

١ - الفكر اليابانى الحديث

(١) إدخال الفكر الغربى

نتيجة إصلاح ميجى تنكرت اليابان للنظام الإقطاعى، وخطت أولى خطواتها نحو المدنية الحديثة. حيث قامت حكومة ميجى (١٨٦٨) بإدخال العلوم والتقنيات الحديثة من جميع الدول الأوروبية المتقدمة بشكل فعال، وأثناء ذلك استوردت الفكر الفلسفى الحديث. حيث كرس فوكوزاوا يوكيتشى وناكاى تشومن جهودهما لنقد الفكر الإقطاعى وإظهار مساوئه وإبراز خصائص الفكر الغربى الحديث.

(٢) ازدواجية الفكر اليابانى الحديث

اتسم الفكر اليابانى الحديث بالازدواجية الحتمية التى فرضها الواقع الدولى على منطقة جنوب شرق آسيا، والتزمت اليابان بهذه المعايير صونا لاستقلالها وحماية لوجودها، فلقد تعاملت اليابان مع الواقع، وجعلت لغة الخطاب السياسى تتسم بالمرونة فى حين أبقت بقايا نظام القيم القديمة فى المؤخرة، فنظام الحكم الإمبراطورى ظل على هيبته وانقسمت اليابان إلى نظام دولة ونظام إمبراطورى كلايهما يسيران جنبا إلى جنب لخدمة قضية اليابان الحديثة. ولقد أكدت الأحداث السياسية المتتالية أهمية هذه الازدواجية فى التعامل مع العالم الخارجى، فالقديم والحديث أشبه بالعقل والقلب، فالعقل هو الذى يتعامل مع العالم المتحرك أما القلب

فهو البقاء فى أحضان الماضى بكل معانيه وقيمه الراسخة، ولقد نجحت اليابان فى لفت أنظار العـالم الخارجى إلى شخصيتها الفريده مما جعلها محل إعجاب وتقدير فى آن واحد، وكان لهذه المـرونة أثـرها فى سرعـة استيعاب اليابان لمتطلبات العصر الحديث وانتظمت فى سلم الدول الناهضة دون اصطدام فكرى أو عقائدى مع الغرب

إن من العجيب ان تتخطى اليابان كل الحواجز العقائدية التى تفصلها عن الغرب نتيجة المـرونة الهادئـة فى القضايا الحساسة، ولكن هذه المرونة فى الشخصية اليابانية جعلتها محل نقد متـزايد مـن الغـرب الـذى لا يفهـم السر فى الصمت الذى يبديه اليابانيون عند اصطدامهم بالعقل الأوروبى، هل هو تواضع؟ أم حياء ؟ أم عجز وشعور بالدونية تجاه الغرب؟

الحقيقة أن طبيعية الشخصية اليابانية طبقا لمعايير الفكر الغربى تبدو سلبية وغير قوية إذا ما تعرضت لنقد أو تحدٍ من نوع ما..

فالصمت أفضل الوسائل عند العجز عن الفهم أو الرد. وقد يبدو ذلك مريحا من جانب طـرف وغـير مـريح للطرف الآخر، فالرد بالشكل القاطع غير وارد طبقا للأخلاق اليابانية، وبالـتالى فـإن الحـوار الـصريح الـذى هـو أحد مفاتيح اللغة الدولية يبدو صعبا فى المنتديات الفكرية اليابانية.

(٣) رواد الفكر الحضارى الحديث

(١) فوكوزاوا يوكيتشى (١٨٣٥.١٩٠١)

♠ مولده وحياته

ولـد فوكـوزاوا يوكيتـشى فى أسرة سـاموراثية، مـن طـبقة فقيرة تنتمى إلى محافظة أويتا (مقاطعـة ناكتـسو)، ولقد ورد عنه أن ما آلت إليه حياة والده من نهاية غير سعيدة قد زاد من إصراره على رفض النظام الإقطاعى الطبقى مؤكداً أنه رغم أن الحضارة الغربية تنادى بالحرية والمساواة وأنه لا فرق بين إنسان وإنسان إلا بالعلم والعمل. فإنه يوجد أناس أذكياء وأغبياء وأغنياء، وفقراء فى الواقع[1] فما هو السر فى ذلك ؟

إن ذلك يتوقف على ما إذا كان هناك علم من عدمه، لذلك فإن على كل إنسان أن يسعى

---

(١) إن الإسـلام أول مـن نادى بالمساواة بين البشر فالرسول (ﷺ) أول من خاطب البشرية قائلاً: "كلكـم لآدم وآدم مـن تـراب وليـس لعربـى فضل علـى أعجمـى ولا لأبيض علـى أسود إلا بالتقوى، إن أكـرمكم عند الله أتقـاكم". ومن المأثورات التى وردت عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

ليستزيد من علمه من خلال تعلمه العلوم العملية التى تستخدم فى الحياة اليومية كذلك فإن هـذا يـتوقف عـلى احـترام الإنـسان لذاتـه واسـتقلاله Dokuritso Shin، هـذه هى إحدى الكلـمات التـى كـان يفـضلها فوكـوزاوا. لـيس فقط احترام واستقلالية الفرد وطريقة الحياة الفردية الحديثة، ولكن أيضاً إذا أرادت اليابان ان تواكب القوى الغربية القوية فعليها بالسعى نحـو الاسـتقلال الحـر، لـيس فقط على مستوى الفرد ولكن أيضا على مستوى الأمة، هكذا يقول فوكوزاوا. ويستطرد قائلاً: إن الإنسان الذى ليس له عزيمة قوية لايستطيع أن يفكر فى بلـده بعمـق ومـن السهل أن يقع فريسة للأجانب. فيبدأ باستقلال الفرد ثم استقلال الوطن عـلاوة عـلى ذلـك اعتـبر فوكوزاوا أن الحضارة تقوم على إيقاظ روح أغلبية الشعب، وتقدم الفكـر مـن أجـل ذلـك فكـان مـن الضرورى أن تطور النظام الاجتماعى والعلوم والأعمال التجارية والصناعية.

ويلاحظ أن فكر فوكوزاوا يقوم على جانبين أحدهما الحرية التى تقوم على احترام الفرد، والآخـر الوطنـية التـى تدعو إلى استقلال الدولة.وهذا هو الاتجاه السائد بالنسبة للمفكرين الجدد فى عصر ميجى.

ويعـد فوكـوزاوا واحـدًا مـن طليعة الشخصيات البارزة الذين ساهموا بطريقة فعالة فى حركة التجديد القويه التى ظهرت فى اليابان فى تلك الفترة.

- **مؤلفاته:**

أصـبحت مؤلفاته(أحوال الغرب.١٨٦٦) و(تشجيع المعرفة ١٨٧٦) من الكتب الأكثر رواجـا بعـد مـا قامـت بالتأثـير إلى حد بعيد على المجتمع اليابانى فى ذلك الحين، ويعد كتابه (ملخـص نظـرية الحـضارة ١٨٧٥) مـن أهـم المؤلفات ألتى تلخص معاناته فلسفيا وثقافيا خـلال عمله الطويل كمعلم ومفكر وصحفي، والتى تعكس، وبصفه خاصة، المناخ الفكرى الـذى نشأ نتيجة حركة الحضارة والتنوير) المتمثلة فى حركة التجديد الفكرى فى العقد السابع من القرن التاسع عشر.

ونظرا لترجمة هذا الكتاب المهم، الذى يتعلق بتاريخ الفكر فى عصر (ميجى)، فقد أضفنا مقدمـه تحليلـية للـنص بقلم المؤرخ اليابانى الشهير (تسودا سوكيتشى)، والذى كتب فى عام ١٩٥١ هذه المقولة:

" إن أفكار فوكوزاوا لم تسبق عصرها فقط ،بل مازالت تحتفظ بكل سيطرتها كاملة، حتى أنها أصبحت تشمل أفكارا وثيقة الصلة بعالمنا الحاضر."

- **كتاب "ملخص نظرية الحضارة"(BUMMEIRON NO GAIRYAku)**

فى الفصل الأول يؤكد الأستاذ/ فوكوزاوا يوكتشى على وجوب تأسيس قاعدة للجدل فى أى موضوع. لأن اليابان فى عصر ميجى قد وصلت لمفترق طرق، ويجب أن تختار بين البدائل فإما التقدم نحو الحضارة الحديثة وإما السقوط تحت براثن البربرية.

لقد بات وضع أساس للحضارة اليابانية أمرًا حتميًا. ويتساءل:هل يمكن أن يصبح ذلك هو الاختيار الممكن تطبيقه؟

لقد أكد اقتناعه بأن الغرب- على النقيض مع اليابان- قد تطور تدريجيا وطبيعيا مع المرحلة التاريخية للحضارة. وأن الهدف المبدئى لليابان كى تلحق بالحضارة الحديثة هو التعلم من الغرب.

ومرة ثانية يتساءل:بما أن الحضارة تضم كلاً من الروح الداخلية والشكل الخارجي الشكل والمضمون – فإن الأولوية يجب أن تعطى للروح.

لأن تقدم الحضارة يتحقق بأخلاق القوى الداخلية للعقل والجسد. خاصة روح الإنسان آخذين فى الاعتبار العلاقة بين الإعزاز القومى والحضارة الغربية.

قال فوكوزاوا :إن المبدأ الأساسى هو القومية،وفى المصطلح السياسى فإن ذلك يتصل بالاستقلال السياسى .لقد أكد على ضرورة اقتفاء روح الحضارة الغربية للمحافظة على هيبة اليابان وسيادتها.

(٢) ناكنى تشومين (١٨٣٧ -١٩١٩)

أصله من أسرة ساموراثية فقيرة من محافظة توسا (كوتشى الآن) سافر فى البداية إلى فرنسا فى بعثة دراسية، وقام بترجمة كتاب روسو "**مبحث العقد الاجتماعى**" وكان له تاثير فكرى على حركة الحقوق المدنية الحرة التى ابتدئت بـ إتاجاكى تايسوكيه

وقال فى كتابه " **ثلاثة حوارات**" إن الأساس لقوة وغنى القوى الغربية يرجع إلى مبدأ الحرية، وأن الحرية هناك مصونة.

يقول : إن قضية الحرية تكون كاملة بعد أن يتم تحقيق المساواة. إن الناس كلهم لهم نفس الحقوق إلى جانب أنه يجب أن يكونوا متساوين فى كم هذه الحقوق. كان تشومين يتطلع إلى تأسيس قواعد الحقوق المدنية، ولم يكن فقط يعمل على استيراد الفكر الغربى مباشرة.

يضيف قائلاً : إن السياسيين لا يجب أن ينكروا رغبة الجماهير - الشعوب ، ويجب أن

يجلبوا أسباب الرفاهية والسعادة الكافية لهم، وتحقيق مستوى من المعرفة مناسب فى نفس الوقت فإن القوة العسكرية للقوى الغربية كانت تشكل تهديدا كبيرا لبلد صغير مثل اليابان. ومع ذلك نادى بأنه يجب أن تتخير اليابان موقفا يعتمد على القانون الدولى لا على القوة العضلية.

المجتمع اليابانى

لم تحظ ثقافة أو مجتمع فى العالم بمثل ما حظيت به الثقافة والمجتمع اليابانى من اهتمام، ولا يقف هذا الإجماع عند حد معين بل امتد إلى كل ما هو قديم وحديث، حتى طريقة الأكل والملبس والطهى فما هو سر هذا الاهتمام؟ ولماذا ظلت اليابان طيلة تاريخها أشبه باللغز المحير أمام الناظرين الأجانب؟ سأحاول أن أكشف هذا اللغز من خلال ما هو مكتوب عن تلك الثقافة والمجتمع والفكر اليابانى.

كثيرا ما يقال إن المجتمع اليابانى هو مجتمع متميز وفريد من نوعه، فما هو السر فى ذلك ؟

تقول العالمة الاجتماعية اليابانية "نكانيه تشيه (١)" فى كتابها "العلاقات الإنسانية فى المجتمع الرأسى" ١٩٦٧"

يختلف المجتمع اليابانى عن المجتميع الهندى فى أن الإحساس نحو الجماعة عند اليابانيين أقوى منها عند الهنود، فالمجتمع اليابانى يؤكد على الإطار (Frame)، بينما يؤكد المجتمع الهندى على الميزة أو الخصوصية الطبقية (attribute) والتى تظهره الطبقة التى ينتمى إليها، ومن هنا يهتم الشعب اليابانى بالإطار الجماعى والتنظيمى، وبالتالى فإن الانتماء لهذا المكان هو من أساسيات الترابط بين الأفراد، وبالتالى التآخى فى هذه العلاقات يتوقف على مدى استمرار هذا الارتباط بالمكان الذى ينتمى إليه، فعلاقات العمل من هذا المدخل تكون أكثر انتظاما وانتماء، فالإنسان اليابانى يجد ذاته فى المكان الذى يرتبط به سواء أكان عملا يدر منه عائدا أو نقابات يجد فيها الانتماء.

والشعب اليابانى يحرص على الانتماء لجماعته التى تربطه بها مصالح أو حتى تربطه بها علاقات تنظيمية أخرى. ومن هنا نجد أن روح المنافسة بين المؤسسات الاقتصادية فى اليابان

(١) Nakane Chie Tate Shakai To Ningen Kankei" KODANSHA GENDAi-SHINSHO Press.

تـرجع إلى وجود روح الانتماء نحو تلك المؤسسات وبالتالى فإن روح العمل والفريق تأتى فى مقدمة الأولويات التى تسبق أى صراعات... وتنقية الأجواء بسرعة تساعد على الوصول إلى الأهـداف المرسـومة.. وتلعـب التقالـيد الأسريـة والمجتمعـية دورا مهما فى تحجيم النزعات الفردية وتسويتها حيث يتعلق الأمر بمصلحة الجماعة التى ينتمى إليها الفرد.

ورغـم هذه الروح السائدة بين اليابانيين، فإن ذلك لا يمنع من وجود نوع من المعارضة لـنظام المجـتمع التقلـيدى، والـذى يهتم بالإخاء والمساواة بين الأفراد وتقوية روح الاندماج والانسجام بين الأفراد وقياداتهم، وبالتالى بث روح الوحدة عن طريق خلق مناسبات عديدة للقاء والترفيه وخلق فرص المناقشات الصريحة ولكن محل ذلك فى الإطار الذى يحتمى فيه.

الجماعات الانفصالية فى المجتمع اليابانى

Buraku- Min

لاشك أن الانتقال والتحول السياسى لليابان من مجتمع الإقطاعيات baku han إلى المجتمع الحديث القائم على المساواة قد ترك وراءه قضايا اجتماعية قديمة دون حل أو معالجة إنسانية، ونخص بذلك الطبقات المهمشة أو المنبوذة فى فترة حكم الشوجون أو ما يعرف باسم" العسكرية الإقطاعية" التى حكمت اليابان ما يربو على ٢٨٠عاما فى ظل نظام طبقى يتسم بالصرامة والقسوة والجمود، ذلك النظام كان يقسم المجتمع اليابانى إلى أربع طبقات رئيسية هى: الساموراى؛ النجار؛ المهنيون؛ ثم الفلاحون. وكانت مادون ذلك من عناصر يرمز اليها باسم" المرفوضين أو المنبوذين" (BURAKU) وكانوا عادة ما يعيشون على فتات الآخرين ويمارسون المهن الحقيرة وغير الجديرة بالاحترام، ولما كانت تلك سمة العصور الإقطاعية غالبا فإن المجتمع اليابانى لم يلمس تحسنا فى أحوال تلك الجماعات المرفوضة اجتماعيا والتى شكلت جماعات انفصالية عن المجتمع اليابانى لها نظمها وأعرافها الخاصة وأصبحت الحكومة تتعامل معهم كما لو كانوا خارجين على القانون حتى وإن كانوا ممن يملكون حق المواطنة. فالطبيعة الإنسانية لليابانيين ترفض العناصر الغريبة أو غير المتجانسة مع المجموع، ونظرا لأن تلك الجماعات تضم بين أفرادها عناصر غير يابانية ممن ينتمون إلى أصول أسيوية سواء كانت كورية أو صينية، فإن الإحساس بالرفض لهم ازداد سوءا نظرا لهذا التباين العرقى، ولقد ظل هؤلاء القوم فى صراع مع المجتمع اليابانى على فترات طويلة من التاريخ حتى ذابوا فى المجتمع اليابانى وأصبح لهم كيانا مستقلا وجمعيات تدافع عن حقوقهم السياسية والاجتماعية، ويهمنى فى هذا الموضوع أن أسلط الضوء على التاريخ الاستيطانى لتلك الجماعات ودورهم فى المجتمع اليابانى ووضعهم القانونى والسياسى ثم أثر ذلك فى الأدب اليابانى، خاصة أعمال شيمازاكى توسون التى تناولها فى روايته هاكاى (Hakai).

فضيلة الحياء عند اليابانيين

دراسة سيكولوجية حول مفهوم القيم عند اليابانيين

الحياء شعبة من شعب الإيمان - هكذا أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فلولا الحياء ما حرمنا حرامًا ولا حللنا حلالاً. فإذا كان الحياء هو الإحساس بالرفض لكل ما هو مكروه، والقبول لكل ما هو مستحسن، فلاشك أن الأمر قد يتعدى هذا المعنى ليشمل كل ما هو جميل ومستحب بفعل الاستحياء، ولولا فضل هذه الصفة ما استوجب المشرع وضعها فى مصاف شعب الإيمان وجعل الإحساس بالحياء أهم من إسداء النصح للتنبيه إلى الخطأ والصواب حينما رأى النبى رجلاً يعظ أخاه فقال له : دعه فالحياء من الإيمان.

ومن هذه المقدمة أكتفى بهذا التعريف المبسط لأقدم شريعة الحياء عند اليابانيين من خلال منظومة القيم الجمالية والأخلاقية التى يتصف بها هذا الشعب.

مفهوم الحياء عند اليابانيين

١ - الحياء شريعة حياة ومنهج عمل :

لاشك أن الأمة اليابانية تختلف عن سائر الأمم الأسيوية بهذا الخلق الرفيع الذى جعلها مضرب الأمثال فى السمو والتسامى والاحترام والطاعة وعدم الخروج عن المألوف. ولأن الحياة يعد أعلى فضيلة عند اليابانيين وعليه تدور سائر العلاقات الاجتماعية بل والسياسية والاقتصادية فقد سادت المجتمع روح من السلام الاجتماعى والاستسلام الإيمانى لكل ما هو مقدر بفعل هذا الحياء. ولو أن المعترضين من ذوى الاتجاهات الغربية قد يئسوا من فهم هذا الرضوخ الغريب لهذا الشعب لأوامر قادته، والطاعة السلبية لكل ما هو صواب أو خطأ دون أن يعملوا عقلهم لفهم فضيلة الحياء عند هذا الشعب. ولقد واكبت هذه الفضيلة كل مراحل الصعود والهبوط عبر تاريخهم المتصل والمملوء بالكفاح من أجل البقاء، والتميز القومى مما جعلهم مضرب الأمثال فى النجاح فى أوقات السلم والحرب. وقد لا يفهم الغربيون على وجه الخصوص قيمة الحياء عند اليابانيين ويبالغون فى إلقاء اللوم على هذه الأمة لأنها تؤمن بالحياء أكثر من إيمانها بعدم الإصغاء.

إن الأمة اليابانية لا تجد فى الجدل قيمة أو مضمون لأنها تستحى من خدش حياء الآخرين وبالتالى خدش مشاعرهم وتعكير صفو علاقتهم القومية. إن من لا يفهم حركة

العلاقات الجماعية عند اليابانيين لايمكن أن يفسر سر تقاعس اليابانيين عن مناقشة ومجادلة بعضهم البعض، أو سر رفضهم الدخول فى جولات سفسطائية عن مفاهيم وقضايا شائكة حول الوجود والكون والإله. ولو أن هذه الأمة آمنت بالبحث عن تلك الحقائق أو استشعرت الخطر من عدم وجود معرفة ضرورية لما توانت عن البحث فى تلك الموضوعات، بل الأجدر بالأهمية عندهم هو البقاء على الود والسلام الاجتماعى دون المخاطرة بقيمة هذه العلاقات تحت ضغط فضيلة الاستحياء والخجل.

إن الأمة اليابانية لهى جديرة بأن توصف بأنها قاومت كل أصناف المعارك لأنها وُضعت تحت محتل قوى اغتصب ذاتهم من الداخل ألا وهو الحياء والخوف من النقد أو الاستهجان من الآخرين. إنه الخجل أو الخوف الذى ينجم عن هذا الشعور القهرى الذى يحكم عقلية كل يابانى حينما يفكر فى فعل شىء أو عدم فعله ولو أنى وضعت إطاراً للقيم اليابانية التى تحرك عقيدة كل يابانى نحو العمل والإنجاز لوضعت قيمة الحياء على رأس تلك القيم الجمالية والأخلاقية.

٢ - الحياء هو الخوف من نقد الآخرين

إذا كان الحياء هو الإحساس بالخوف من نقد الآخرين وبالتالى تجنب الدخول فى مواجهة أخلاقية قد تؤدى إلى فقد مميزات بعينها، أو فوائد وقتية إذا لم نراع هذا الإحساس، فإن المتعارف عليه عند اليابانيين بصفة عامة هو الانسجام والتآلف مع كل ماهو من شأنه أن يسبب نوعاً من اللوم أو النقد لشخص أو مجموعة من الأشخاص، وبالتالى إبداء المرونة تجاه أى أوامر أو عقائد أو ضغوط دون مناقشة أو مقاومة، ويُعد هذا اللون من التعامل أكثر واقعية وأخلاقياً وجمالياً للغالبية العظمى من اليابانيين. ولو أننى لا أعنى أن هذا الإحساس يلغى رغبة البعض فى نقد الظلم أو رفض الإهانة فى بعض القضايا، فإن القاعدة لايمكن أن تحرم أو تمنع وجود استثناء لدى القلة الواعية فى بعض الظروف والأحيان. لكن الأكثرية تؤمن بما تقوله القيادات ولا يجدون فيه جرماً أو خروجاً على القيم الأخلاقية، بل الطاعة واحترام الأوامر والعرف من أوجب القيم الجمالية والأخلاقية وهى التى تبعث على الانسجام الجماعى والأخلاقى. إن الأمة اليابانية تؤمن بالانسجام أكثر من الشقاق وتكره الخروج على المألوف حتى لا تتعرض للعقاب الجماعى وبالتالى فإن مناقشة القضايا تبدو أحياناً شأناً من شئون النخبة السياسة والاقتصادية والثقافية، وبالتالى فإن على الرعية

الإصغاء والطاعة طالما أننا قد آمنّا بقياداتنا وأسلمنا لهم القيادة. وبالتالى فإن الثمن الفادح هو الـذى تـتحمله الجماعـة ولا تـتحمله القـيادة لأن مفهوم الثواب والعقاب هو مفهوم جماعى وليس فردى وبالتالى تنعدم المسئولية الفردية عند حدوث كارثة ويصبح على الجميع دين يجب دفعه وواجب يجب تحمله دون شكوى أو تبرم.

٣ - الحياء هو الشعور بعرفان الجميل تجاه الوطن

لاشـك أنـه حيـنما يـصطحب الحياء أى عقيدة أو فكر إنسانى نحو فعل شيء ضرورى لحـياة أى أمـة فلابد وأن يسهم بقدر فعال لتحقيق أى هدف قومى أو أخلاقى. إن الحياء هو القـوة الدافعة للعمل والإنجاز، حينما يُوظف التوظيف الأمثل فيتحول إلى طاقة جبارة تخلق الحياة من العدم والروح من الفناء، إن أروع مثال على ديناميكية هذه الفضيلة فى قضايا اليابان القومـية هو ما ساهمت به فى تحويل اليابان من دولة زراعية فقيرة إلى قلعة صناعية لا مثيل لها فى العالم. إن الدافع للعمل هو الإحساس بالواجب الناجم عن الخجل من نظرة الآخرين. إن الإنسان الذى يعيش فى إطار جماعة لابد وأن تحكم هذه الجماعة قيم نفعية أو مادية. إن أغلب اليابانيـين الـذين ضـحوا بـأرواحهم مـن أجـل اليابان فى ميادين القتال كان تربطهم مشاعر الخجـل مـن أن يقـصروا فى حـق أمتهم، وبالتالى إمبراطورهم المؤله وساستهم المحبوبين. إن الإحـساس بالتقصير يوجب الخجل وتأنيب الذات الذى لا يمكن أن يتحرك إلا بالاستحياء مـن الآخـرين الذين لابد وأنهم يتوقعون التضحية والعمل من أجل الآخرين. إن الحياء هو سـوط مـسلط عـلى كـل عاطـل لا يؤمن بروح الجماعة ومصلحة الأمة. إن شعار "من أجل الإمـبراطور" ظـل يخدم حروب اليابان التوسعية فترة طويلة من الزمن طالت أجيال متعاقبة دون أن يقـل ذلـك مـن إرادتهـم شـيئًا. إن الحـياء حينما يتحول إلى إيمان بالواجب تجاه رموز الأمة، وبالتالى الإحساس بالمسئولية تجاه أى هدف قومى يجعل تحقيق المستحيل ممكناً.

إن البنية المنتخبة للأمة اليابانية لاتملك فكراً مختلفاً عن قادتهم وبالتالى لايمكن أن تنحى منحـى مخـتلفاً بـل كلهـم عـلى قلب رجل واحد، ومن غشنا فليس منا. ولذا وجبت الطاعة والامتـثال للأوامـر دون اعـتراض، حتـى ولـو كان الأمر مرفوضًا ضميرياً. إن الإحساس بالخـوف مـن عـدم الامتثال هو الذى يوصف بأنه عدم الحياء، وليس خوفاً من الوقوع تحت حكم عصيان الأوامر كما هو الحال فى الجيش.

إن مقاومـة التعلـيمات هى نوع من عدم الحياء، وبالتالى فإن الإصغاء والامتثال هو دليل الحياء واحترام إرادة الجميع.

٤ - الحياء هو احترام قانون الجماعة

لاشك أن قانون الجماعة فى اليابان هو أقرب للقانون غير المسطر فى الكتب، إنه قانون له لغـة مُختلفة عـن لغـة العقـل والمـنطق، إنه قانون ظل يعمل من مئات السنين حتى ترسخ فى وجـدانهم فبات نوعاً من العرف بحلوه ومره لا يختلف عليه اثنان، لأنه مسطور فى القلوب، ولأن القانـون تحكمه موازين القوة والضعف وموازين البقاء أو الطرد فإن عقوبة الطرد عند اليابانيين Nakama-Hazure هى من أشد أنواع العقاب للفرد المُعترض "فالمعترض منطرد" وبالتالى لا مكان له فى شريعتهم، وعليه أن يختار بين البقاء منبوذاً أو الهجرة إلى مكان آخر.

إن التعامل مع الجماعة يحتاج إلى نوع من الذكاء الاجتماعى الذى يكون فيه البقاء للأقوى وبالـتالى لا يمكـن للفـرد أن يكـون قـوياً إلا بمـساندة الآخرين تحت مسمى "المصلحة" أو مـسمى "الحياء" ربما لا توجد هناك مصلحة مباشرة لكن الخوف من نقدهم وغدرهم يكفى لأن يحـترس الفـرد ويلـين أمـام طلـباتهم ونفوذهم. إنه قانون العاطفة الغشيمة[1] أو المشاعر المُنقلبة وبالتالى لابد من التعامل معه بلون من الدهاء والمكر والاستسلام المصطنع.

إن عـوامل الـتاريخ والجغـرافيا لايمكـن أن تتنـصل مـن هذا القانون الذى تهيأ فى ظل ظروف تاريخية وبيئة طبيعية قاسية تطورت فيها اليابان تطوراً مادياً لم يلمس شغاف القلوب، حتـى أضـحت الـيابان آلـة حديثة ومشاعر قديمة إن هذا الوصف قاله أحد أساتذة التاريخ اليابانى الوسيط حينما وصف اليابان بأنها تعمل "بعقل حديث وقلب قديم".

إن الـيابان قـد أخذت حظها من التطور العلمى وشهدت نهضة مادية لا مثيل لها ولكن يبقى السؤال : لماذا لم تهتم اليابان بنقل الفكر الغربى والعقيدة المسيحية؟

إن الإجابـة الوحيدة التى يمكن أن نثق بها هى "الإحساس بالحياء من نقد الآخرين، إن اليابانيـين يكـرهون بـأن يكونـوا مُتهمـين بالخـيانة الـسياسية أو الأخلاقـية أو الدينية. إنهم

---

(١) العاطفـة والـواجب هما صفتان متأصلتان فى الوجدان اليابانى فالواجب والعاطفة متلازمان الـواجب تجـاه المجتمع تحكمـه معـايير وجدانية أكثر منها عقلية برجماتية. فالواجب هو قانـون الأخـلاق المستمد مـن الانـتماء العاطفـى للـشعب اليابانـى والـذى تحـركه فـضيلة الحـياء تجـاه الآخـرين، إنـه الفطرة السليمة التى تتحكم فى سلوك الفرد تجاه الجماعة، ومسئولية الجماعة تجاه الفرد، تعبيرات شائعة فى المصطلح الاجتماعى اليابانى :

- الطرد من الجماعة : Nakama- Hazure
- الواجب والعاطفة : Giri-To- Ninjon.

يرفضون الخيانة لأن الخيانة ضد الحياء فهم يؤمنون بكل ما هو يابانى مهما كان ضارباً فى الخرافة والسخف لأنهم لا يحبون أن يوصفوا بالجبن وعدم الانتماء.

فالحياء خلق يابانى أصيل حتمته قوانين الجماعة التى كانت تحكم هذه الأمة من وراء حجاب، فالأمة اليابانية لا تزال تكشف عن فضائلها التى تمسكت بها فى الماضى وعلى مر العصور لأنها لا تريد أن تخسر روح البقاء على الود الذى هو ذخر الأمة وضميرها الحى.

روث بيندكت[1] وثقافة الحياء :

لاشك أنه من بين الدارسين والمتعاملين مع الثقافة اليابانية الذين تعمقوا فى فهم الذات اليابانية من منظور ثقافى نجد العالمة الأنثروبولوجية الأمريكية روث بيندكت. لقد كتبت كتابها الشهير (Kiku To Katana) السيف وزهرة الأقحوان. وهو كتاب صُنف ضمن الكتب الغربية الأكاديمية التى تناولت سلوك وطبائع اليابانيين الذين عاشوا فترة ما قبل الحرب اليابانية الأمريكية فى جزر هاواى وقامت بعمل دراسة تحليلية شاملة عن علاقة هذا الإحساس اليابانى وسلوك اليابانيين تجاه الآخرين، ودوره فى رفع كفاءة اليابانيين الأخلاقية والروحية. إن روث بيندكت لم تغادر أمريكا كى تسطر هذا الكتاب بل قامت بدراساتها فى أمريكا على جماعات من المهاجرين اليابانيين الذين استفادت من وجودهم آنذاك. ولقد ساهم هذا الكتاب فى نشر الوعى لدى الجيش الأمريكى فى تعامله مع هذه الثقافة اليابانية وقد اعتبره المفكرون الغربيون من الدراسات المتميزة عن الشعب اليابانى وثقافته.

الانتحار على الطريقة اليابانية

بقر البطن Seppoku – الانتحار على الطريقة اليابانية –تعد عادة بقر البطن باستخدام السيف عند اليابانيين (سيبوكو – Seppoku) من العادات التى اشتهرت عن اليابانيين، وهو نوع من التخلص من النفس عند اختلال الاحترام تجاه شخص ما، أو عند الفشل فى إنجاز مهمة عسكرية وبالتالى خيانة العهد أو عدم الوفاء بالوعد الذى أخذه على نفسه وبالتالى يفقد ماء وجهه أمام رؤسائه وثقتهم فيه.. ونظرا لأن تلك العادات تحتاج إلى تفسير تاريخى لفلسفة القيم والمثل عند اليابانيين، خاصة أن التاريخ الحديث لليابانيين يحمل فى طياته كثيراً من القيم

---

(١) روث بيندكت ولدت فى عام ١٨٨٧ فى نيويورك ، وأهم مؤلفاتها :
-The chryrsanthemum and the sword- Patterns of Japanese Culture (1946).
- Race : Scince and Politics, (1940).

المتوارثة والتى تعد بحق من أهم المبادئ التى يجدر الإشارة إليها، ومن أهم تلك المبادئ "التضحية بالنفس"، ولأن وراء ذلك منظومة من القيم تتفاوت فى معناها حسب طبيعة العمل وفلسفة الحياة فإن إيضاح ذلك وربطه بقضايا اليابان المحلية والإقليمية لهو من المهم.

خلفية تاريخية :

إن تاريخ اليابان الوسيط شهد كثيرا من الصراعات العشائرية حول مناطق النفوذ والسيطرة، خاصة عشيرتى الجنجى والهيكى، ونظرا لأن تلك العشائر استوطنت فى مناطق قريبة من مركز الحكم وعواصم البلاد فإن دورها كان مرتبطا بوجود الإمبراطور الحاكم، واستمرت شرعية وجودها من وجوده وعشيرة الجنجى Genj كانت تقطن فى شرق اليابان بينما كانت عشيرة الهيكى تقطن غرب اليابان، وكانت كل عشيرة تسيطر على مناطقها، وتلعب دورا مهماً فى تثبيت نفوذها، ونظرا لأن تلك العشائر تنتمى إلى طبقة الساموراى (البوشى) وهم أشبه ما يكونون بالماليك فى دورهم العسكرى، فإن الإمبراطور كان يستخدمهم عند الضرورة فى تحقيق أهدافه السياسية. وبدأوا فى فرض وصايتهم على الإمبراطور خاصة من كان فى سن لا تسمح بإدارة شئون البلاد ويطلق على الوصى اسم جوكو (Joko)، وارتبطت تلك العشائر بالإمبراطور بوشائج النسب حتى تقوى العلاقة السياسية بينهم، وبدأت عوامل الانقسام تظهر بعد استشعار الإمبراطور بضعف هيبته وعدم رضائه عن تلك السياسة، وانتهى الصراع باستعادة الإمبراطور لهيبته..

ولما كانت العلاقة بين تلك العشائر والإمبراطور تقوم على مبدأ البيعة والولاء له فإن أفرادها وقوادها كانوا أشبه ما يكونون بالمرتزقة أو المماليك الذين يقومون بحماية الإمبراطور والتضحية بكل غال فى سبيله، ونشأت علاقة فنائية أساسها الولاء والتضحية وعدم الخيانة وتربت فئة الساموراى (البوشى) على تلك القيم والفضائل وأصبح لا همَّ ولا عمل لهم سوى القيام بهذا الدور القتالى.. ولما كانت تلك الطائفة تعيش عالة على المجتمع فلم يكن لها مورد رزق سوى البلطجة والارتزاق من الطبقات الأضعف كالفلاحين مقابل منع التعرض لهم.. ورغم تلك الهيمنة على الكيانات الأخرى إلا أنه عُرف عنهم النبل والشجاعة والالتزام تجاه أسيادهم وقادتهم ومن يلوذون بهم من الطبقات الأخرى، وكانوا أشبه ما يكونون بالفتوات الذين يلجأ إليهم الناس عند الشدائد وأصبحت قواعد الحكم السياسى لا تخلو من

وجـودهم حتـى ذاع صيتهم وأقاموا حكم البوشى من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثانى عشر. (تاريخ اليابان (Teikoku-Shion press showa 52. PP66-80 1976)

وتلـك العلاقة الحميمة وإن كانت فى ظاهرها تستند إلى مبدأ الخدمة والولاء المطلق تجـاه السيد أو المأمور بخدمته إلا أنها توجب الحماية والدفاع عمن يقعون فى إطار منطقته من الأهل أو الأقارب والطامعين فى حمايتهم، وبالتالى نجد أن الإحساس بالمسئولية يوجب نوعا مـن الـيقظة والاهـتمام بالعلاقات الداخلة فى هذا الإطار لدرجة التفانى فى بعض الأحيان.. وتنـشأ عن تلك الارتباطات أنواع من المودة والرحمة تفوق حد العقل إلى الخرافة وحد البقاء إلى الفـناء. ومـن هـنا تتسم العلاقات من هذا الصنف بالاستقرار وعدم التنازع، ويخطئ من يتصور أنه يمكن تغيير ذلك الوضع بسهولة وإلا الموت وقطع سبل العيش ولقد ظلت تلك الـنظم الأخلاقـية بمفهومها الإقطاعى مستمرة فى اليابان حتى نهاية القرن التاسع عشر إن لم يكن أكثر من ذلك.

مفهوم الجميل (on) فى الثقافة اليابانية

الكلـمات التى تدل على مصطلح الفضل فى اللغة اليابانية و الصينية والإنجليزية تختلف بحسب خصوصية كل ثقافة.

تقـول روث بيـندكت فى كـتابها "الـسيف وزهـرة الأقحـوان kiko to katana" مـن الـصعب تـرجمة مـصطلح on فى اللغـة اليابانـية إلى مثـيلاتها فى اللغات الأوربية، فهى كلمة جامعة شاملة تبدأ من الشعور بالواجب و التضحية وتنتهى بمعنى الشفقة والحب، ففى اللغة الإنجليـزية لا يمكن أن تساوى معنى كلمة on أى الواجب بمثيلتها فى الإنجليزية love–kindnessوإلا أصـبح معـناها "الـواجب تجـاه الطفـولة " وهـذا لا يـستقيم مـع فقه اللغة الصحيح؛ ولا أيضا يعنى التضحية. ففى اللغة اليابانية توجد عدة كلمات تعبر عن التضحية؛ فلا وجه لإقامة الدليل على مضاهاتها بكلمة on أى الفضل والجميل.

فالقـواعد التى تستخدم فيها كلمة on متشعبة فهى تعنى الإحساس بالجميل تجاه من له فـضل عـلى. فالشعور بالمسئولية تجاه هذا الإحساس ، ووجوب رد هذا الجميل وعدم إغفاله يـستدعى العمـل بكاملِ طاقتى فى سبيل رد هذا الجميل ، و التعبير اليابانى المستخدم فى هذا

المعنى : إنني أحمل جميلا تجاه فلان، أحمل دينا يجب رده... أشعر بالواجب نحو فاعل الجميل..........

مثل هذه التعبيرات الشائعة فى اللغة اليابانية يوجد مثيلٌ لها فى لغات أخرى ؛ إلا أن الواجب و الإحساس به يتضاعف بشكل غير مالوف لدرجة التضحية و الجود بالنفس فى المضمون اليابانى.

إن التعدد الذى يعبر عن معنى الفضل أو الجميل والواجب الأخلاقى فى اللغة اليابانية يعكس الطبيعة النفسية للشعب اليابانى فى فترة طويلة. والتاريخ الأخلاق لليابان يحوى الكثير من الديانات الروحية التى دخلت إلى اليابان وامتزجت بالعقائد الدينية الأصلية فى تركيبها البدائى.

ولنأخذ أمثلة من تلك الثقافات التى وفدت إلى اليابان وامتزجت مع الثقافة اليابانية فالجذور الأولى للثقافة اليابانية لم تكن تزيد على شتات من المعتقدات الشعبية التى تناسب كل إقليم من أقاليم الجزر اليابانية المترامية من الشمال إلى الجنوب..وربما نجد فى الجزيرة الأم (الهونشو) HONSHU تتداخل العادات والتقاليد الإنسانية نتيجة للقرب السكانى والجغرافى، أما الأقاليم البعيدة فى الشمال أو الجنوب فتكاد تختلف من حيث البنية البشرية والتركيبة الثقافية وحركه التأثر والتأثير من الداخل والخارج.

فالبوذية-وهى من الديانات الشعبية فى اليابان- تم استقدامها لتقوية القيم الروحية للشعب اليابانى فى حروبه مع جيرانه الكوريين ولقد استقدمت البوذية فى القرن السادس الميلادى على يد الأمير/ شوتوكو لما تتمع به هذه الديانة من روحانية قوية تعين على التضحية وإنكار الذات والزهد فى الحياة.إن القيم النبيْة التى جاءت عن طريق هذه التعاليم مثل التضحية CHUSEI، والوفاء ONGAESHIلا يمكن إغفالها، وبخاصة التضحية فى معناها القتالى الذى تحلى به رجال الساموراى (البوشى) كانت مضرب الأمثال على مر العصور[1].

معيارية القيم فى النظام الأخلاقى اليابانى لا تقوم على النفعية الخاصة بقدر ما تقوم على الانسجام الطبيعى بين الأطراف المتعارفة، فالقيمة هى فعل ورد فعل ،وعلى قدر علو القيمة

(1) R.BELLA."NIHON NO KINDAIKA TO SHUKYO RINRI", MIRAISHA press1983 p.261

تكـون قيمة العمل وأهميته، ولقد انتظم عقد هذه العلاقة بين مجموعات الشعب اليابانى على أسس من الترابط والتضامن العرقى والإقليمى، فأبناء البلد الواحد يخضعون لأعراف القرية أو الإقليم وهى أعراف ذات طبيعته إنسانية أكثر منها معايير دينية أو تعاليم مقدسة.

إن الأسـاس فى العلاقة بين الناس هو المعروف، والمعروف هو ما أشرنا إليه بلفظ ON فحفـظ الجمـيل يأتـى كـنوع من رد المعروف، وكلما كان المعروف أكبر وأدق.فليس هناك فى اليابان مـن ينكر فضل ــ معروف ــ الإمبراطور حتى لو لم يفعل شيئاً مخصوصاً لأحد ،بل كونه رمزا مقدسا لكل اليابانيين يستوجب الإقرار من الجميع بفضله وأهليته للمعروف فهى واجـب تحـتمه الأخـلاق العامـة دون أن يكـون وراء ذلك منفعة خاصة لشخص ما..ً. إنها التركـية الأخلاقية المثالية للمجتمع اليابانى. فالجميع يدين بالولاء للإمبراطور لأنه صاحب الفـضل الأعظـم وأن الـواجب القومـى تجاه الإمبراطور هو الذى يحرك البواعث الأخلاقية لأمة بأسرها.. إن الربط بين الرمز المقدس للدول من واجبات التقديس والتضحية هو إحدى سمات الثقافة اليابانية....

لقـد ظلـت اليابان عـبر قـرون طـويلة تنظـر إلى أباطرتها نظرة قدسية علوية تفوق حد المعقـول إلى حـد الخـرافة. إن مـصطلح الــ(On) أى المعروف-الجميل-الفضل ،يتدرج من الأعلى فالأدنى ، فالمعروف الذى ناله من الإمبراطور يطلق عليهKO ON ثم المعروف الذى يـناله مـن الـوالدين OYA NOON والمعـروف الـذى نالـه مـن الحاكمNUSHI NO ON والمعروف من المعلم SHI NO ON

إذن كـل ما ذكرناه من الأفضال الواجب ردها، والمعروف الواجب عدم نسيانه ينسجم مع المعايير الأخلاقية لمجتمع اليابان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وربما ظلت تلك المعايير تمـثل واجهة اليابان الحضارية أمام القيم النفعية التى جلبتها الهزيمة العسكرية لليابان على يد الأمريكان.

ويمكـن تقـسيم الـواجب إلى التـصنيف الـتالى: فالواجب تجاه الإمبراطور ومن يليه فى الـسلم القـيادى يحـتم الطاعـة العمـياء والتـضحية والـولاء؛ فـأولى الواجـبات Gimuتجـاه الإمبراطور.وبالتالى فإن مصطلحcHuse أى التضحية من أجل الواجب يقتصر على الواجب تجاه الإمبراطور؛والوطن والقانون.

أمـا الـواجب تجـاه الـوالدين والأجداد فيستخدمون مصطلح koثم يأتى الواجب تجاه

العمل المنوط بى ويستخدم مصطلح NINMU؛ ثم ياتى بعد ذلك الواجب تجاه من يتساوى معى ويكون بقدر ووقت معين؛ويستخدم مصطلحGiriويكون كالتالى:

واجب تجاه البشر – الناس

الواجب تجاه النظام أو الحاكم kunshu ni taisuru gimu

الواجب تجاه الأقربين kinshin ni taisuru gimu

الواجب تجاه الآخرين tanin ni taisuru gimu

♠ واجب تجاه الكرامة والعزة ؛مثل واجب الشكر لمن ساندنى عند الفشل والندامة. أو عند ارادة عدم الإقرار بالخطأ أو الجهل أو كل أنواع الخطأ أو الجهل بالطقوس اليابانية؛ فالواجب يحتم رد الشكر.

التجربة اليابانية من النظرية إلى التطبيق

من القضايا الجدلية فى بداية تحديث الدولة فى اليابان نجد قضية "الاعتقاد" أو الديانة وروح العصر الحديث. فقد أخذ رواد النهضة الأوربية بأسباب العلم الحديث القائم على العقلانية المادية منتقدين الفكر الدينى الذى كانت تتبناه الكنيسة آنذاك وتحرم على رعاياها الأخذ بأسباب العلم أو حتى التفكير إلا من خلالها، مما أحدث نوعاً من الخلل والجبن تجاه قضايا التحول إلى المدنية، وقيام مجتمع حر تسوده روح العقل والعلم. ولقد كانت آراء مارتن لوثر هى الرائدة فى هذا التحول إلى العقلانية الدينية القائمة على روح النقد ورفض الكهنوتية الدينية والدعوة إلى التحرر من روح الاستبداد والتخلف الفكرى الذى فرضته سلطة الكنيسة على رعاياها تحت ستار التدين والإيمان.. وهذا التحول بدأ من بزوغ روح النقد أولاً تجاه الفكر الدينى، ثم تطور إلى ثورة عارمة فى كل قضايا الحياة فى تطور متتابع امتد من غرب أوربا إلى شرقها، وهو ما عرف باسم "الثورة المارتينية البروتستانتينية" بعد ذلك، ولا تزال آراء مارتن لوثر تعمل بشكل فعال فى العقل الأوروبى وأدت إلى بزوغ عصر الحرية واستقلال الإنسان وتحرره من استعباد الإنسان له. وهو ما عرف باسم "الثورة الدينية" فى تلك الفترة. وإذا كان الاتجاه العقلانى يرتبط أساساً بقانون الأسباب، والأخذ بها وهو ما أكده ماكس ويفر فى كتاباته عن معنى التقدم: "بأنه إتيان العناصر المعقولة والمنطقية والتحرر من الأوهام والخرافات التى تلصق بالدين"(٣) فإن التقدم لابد وأن يبدأ أولاً بتحرير الدين من الأوهام والخرافات، ثم ينطلق العقل ليأخذ دوراً إيجابياً فى تعمير الكون، وركز على ضرورة التفرقة بين ما هو مقدس بشكل مطلق وبين ما هو عادى. وبالتالى فإنه ليس كل مقدس بضرورى فى الاتباع له وتعطيل حركة الإنسان فى الحياة، وبالتالى فإن الإيمان الذى يحتمه العصر هو التحول من النظريات الميتافيزيقية إلى التطبيقات الواقعية الحياتية التى تسهم فى تفعيل معنى الدين وربطه بالحياة، ولابد لكى يتحقق هذا الهدف أن يتحرر العقل من كل معوقات انطلاقه وذلك لا يتحقق إلا بالعلم المادى الذى ترتضيه الفطرة. وكان هذا هو ما يعرف بالقوانين الطبيعية التى يرتضيها العقل ولا تأباها الفطرة السليمة.

ويهمنى هنا إبراز الاتجاه العقلانى عند اليابانيين فى بداية مرحلة التحول إلى المدنية الجديدة، وتتبع حركة الفكر اليابانى الحديث من خلال فكر القادة الرسميين وتطور فلسفة التطوير والتنمية.

أ - جذور الاتجاه العقلانى عند اليابانيين :

وإذا كان الاتجاه العقلانى فى أوربا قد بدأ بإعادة تفسير الديانة المسيحية على أسس جديدة تقوم على روح النقد واعتماد العقل كأساس جديد لحركة التغيير والانطلاقة الفكرية، فإن اليابان قد بدأت أولى خطواتها تجاه العصر الجديد فى إعادة التأكيد على روح الولاء والطاعة للإمبراطور مع الأخذ بالأسباب المادية والعصرية دون أن تفرط فى تقاليدها الدينية - الجوهرية فقد ارتدت اليابان زى العصر الحديث وهى تفكر وتعتقد بروح اليابان القديمة(١)، مما أوجد ازدواجية فى طريقة التفكير اليابانى، فعلى الرغم من النقد الذى توجهه الأقلام الغربية لليابان بسبب طريقتها فى التفكير ونظريتها فى التطور إلا فإن اليابان حافظت ولا تزال تتمسك بروح الانتماء لقوميتها وأخلاقها وعقائدها القديمة دون تهاون.

النهضة اليابانية لم تقم على ثورة أو تحول فى المفاهيم الدينية أو الأخلاقية كما هو الحال فى أوروبا، بل قامت على أيديولوجية سياسية دينية تقوم على التقديس والولاء للإمبراطور بصفته المقدسة باعتباره من الآلهة الأحياء كما تزعم الأسطورة اليابانية، وتلك النظرة الأسطورية التى تعتبر الإمبراطور إلهاً من سلالة الآلهة اليابانية تستمد شرعيتها من كتاب الأساطير القديم المعروف باسم "كوجيكى" KOJIKI . وهذا الكتاب يعتبر من الكتب المشهورة الذى يدون فيه طبيعة العلاقة بين الإمبراطور واليابان وتاريخ ظهور آلهة اليابان على الجزر اليابانية. وتعتبر الديانة الشنتوية من الديانات القديمة التى لا تزال تقدس الذات الإمبراطورية وتضعها على رأس الآلهة اليابانية وتقيم الطقوس والشعائر فى كل مناسبة من أجل إظهار هذا الولاء والطاعة له(٢).

ونظراً لأن تلك الأيديولوجية استمدت شرعيتها من الديانة الشنتوية التى تنظر إلى الإمبراطور نظرة مقدسة توجب الطاعة والولاء له، فقد استخدمها قادة اليابان عند إرادة التحول إلى العصر الحديث، وذلك لتحفيز روح العمل والإنجاز فى وقت قياسى، وجعلت الشعب اليابانى بجميع فئاته وقياداته ينتمون قلباً وقالباً إلى الإمبراطور، ويعملون لأجله بدافع من الحب له والولاء الدينى له. ولقد اكتسبت تلك الأيديولوجية شعبيتها إبان الحرب العالمية الأولى والثانية وعند بداية الانطلاقة الصناعية فى مراحلها الأولى.

---

(١) DONALED I. PHILIPPI (translation) **Kojiki** . Unv. Of Tokyo Press 1968.

(٢) Ibid.

ولعل ابرز من كتب عن طرق التفكير عند اليابانيين "طرائق التفكير عند الشرقيين – اليابان – التبت" للأستاذ/ ناكامورا هاجيمى، حيث أثبت الاتجاه العقلانى عند اليابانيين فى الاعتقاد الدينى ممثلاً فى فكرة الإله فى الديانة الشنتوية والبوذية وانتهاءً بنظرة اليابانيين للحياة والموت، ويبدو من آرائه أن المذهب المادى فى التفكير اليابانى القائم على احترام قانون الأسباب والمنفعة المادية هو ما يقصده، وهذا التفكير يعكس بالتالى إنكار الغيب أو الإيمان المطلق بإله بعينه، وإنما تتعدد الآلهة تبعاً للمصلحة التى يراها الفرد ويمكن جنيها من هذا الإله.. وربما تكون هذه الطريقة محصورة فى شق واحد وهو المنفعة أو المصلحة، فهو إيمان يكمن وراءه هدف ومنفعة(١).

ب - الاتجاه العقلانى فى اليابان فى مرحلة ما قبل التحول للمدنية الحديثة :

وفى اليابان كانت قصة الحضارة والانطلاقة تكمن وراءها ظروف مختلفة ودوافع أخرى تختلف عن تلك التى قامت عليها نهضة أوربا وإن كانت العوائق هى من نفس المعنى ألا وهى التقاليد السائدة والعادات الراكدة، ونقطة الصفر التى يجب البدء منها. وتلك الأسباب كانت من أهم القضايا الشائكة فى التحول من النظام الإقطاعى المتخلف إلى النظام الحديث، وربما لم يكن هناك ما يسمى بالدعوة إلى التغيير نحو العصر الجديد اللهم إلا من خلال نخبة من المثقفين الذين لا ينتمون إلى فكر القاعدة أى فكر الأغلبية من الشعب اليابانى. إن هذه النخبة ربما عانت كثيرًا من الاضطهاد الدينى فى فترة ما قبل انفتاح اليابان التى أعقبت إعلان إلغاء النظام السياسى السائد المعروف باسم "الباكفو"(٢).

ولقد ظهرت بوادر النهضة فى اليابان فى مرحلة ما قبل التحول للمدنية بإمكانيات متواضعة، ليس فقط على المستوى الفكرى ولكن أيضاً على المستوى العلمى بشقيه المادى والروحى.. وفى مجال الطب بدأت أول عملية جراحية للحيوانات فى أوساكا عام ١٨٠٠، وكان نخبة من المتعلمين اليابانيين قد تعلموا اللغة الهولندية ودرسوا بعض الفنون الطبية، ولم يكن الطب الصينى بذا صيت فى اليابان كما هو الآن، وبدأت الحلقات العلمية فى مجال الطب الحديث تنشط، وازداد الاهتمام بعلم التشريح الجديد حيث ظهرت أولى الترجمات العلمية فى

---

(١)Nakamura Hajime. **"The ways of thinking of Eastern Peoples".**-3 (Toyojin No Shii Hoho) Shuju Sha Press. Showa 37

(٢) R.N.Bera Translated to Japaneseby Horichiro, **Nihon Kindaika To Skukyo Riniri** Miraisha 1983

مجال الطب لأول مرة عام ١٧٧٤، وأهمها كتاب "العلم الحديث للتشريح" **Kaitai Shinsho** للأستاذ سوجيتا جينباكو وتمت ترجمته من اللغة الهولندية إلى اللغة اليابانية فى عصر إيدو[١].

ثم توالت الاهتمامات بسائر العلوم الحديثة مثل الفلسفة والعلوم الطبيعية والدراسات الهولندية من خلال تعلم اللغة الهولندية بادئ ذى بدء، ثم نقل ما هو جديد عن التقدم العلمى الغربى. ومن خلال حركة الترجمة فى عصر إيدو توالت المعارف الأوربية المترجمة إلى اللغة اليابانية بشكل مثير وصاحب هذه الانتقالة دخول المبشرين الأوربيين حاملين معهم الدعوة المسيحية.

جذور الفكر القومى اليابانى

١ - المدرسة القومية KOKUGAKU (١٦٨٠ - ١٨٢٠)

إذا استعرضنا تاريخ اليابان السياسى لوجدنا صلة وثيقة بين الدين والسياسة عبر ثلاثة أديان كبرى ولنبدأ بالديانة الشنتوية: إن أقدم المراجع التى تتعلق بالشنتوية توضح لنا أن مولد الدولة لم يكن فى البداية مرتبطاً بالديانة القبلية ولكن جنس ياماتو الذين كانوا محور نفوذهم فى الجزء الأوسط من اليابان فى بداية التقويم المسيحى، بدأوا يربطون السياسة بالدين مؤسسين أسطورتهم التى تقوم على تفسيرهم الخاص، تلك الأسطورة التى استمدت عناصرها من كتاب الكوجيكى والتى تخبرنا بمولد اليابان المقدسة بعد أن تزوج الإله الأعظم أماتيراسا من إلهة الشمس وأنجبوا اليابان بعد أن أحكموا سيطرتهم على الآلهة الأخرى.

ونظراً لأن تلك الأسطورة هى التى استمد منها النظام الإمبراطورى شرعيته الدينية والسياسة، ونظراً لأن كلمة سياسة فى اللغة اليابانية تعنى "الاحتفال الدينى" (ماتسورى جوتو) MATSURI GOTO فإن السياسة كانت تعنى الدين، وقد أوجب ذلك قدسية باللغة عند التعامل مع المصطلح السياسى فهو يعنى طقوساً دينية وصلوات وواجبًا قوميًا فى نفس الوقت.

ولعل من الموضوعات التى لم تحسم فى عهد ميجى (١٨٦٨-١٩١١) موضوع العلاقة بين القيم الأخلاقية وسياسة الدولة نحو التغيير.

---

(١)Sogita Tsutomo **Gogen no bunkashi**",Iwanamni shinsho, 1984 p.215.

إن عمق الروابط بين الممارسة الفعلية للأخلاق والاعتقاد عند الشعب اليابانى، جعل الباحثين عاجزين عن التفرقة بين ما هو اعتقاد وما هو أخلاق، فكلاهما يؤكدان تلازماً متصلاً وتعاوناً وثيقاً. فالواجب الدينى هو ذاته واجب أخلاقي مقدس، وكلاهما يرتبطان بدولة الآلهة – اليابان –وإمبراطورهم المؤله، فليس هناك أى تصادم أو اختلاف بين الرؤى يجعل هناك استحالة فى قيام هذا التآلف الفكرى والعقائدى بل هو ذاته واجب أخلاقى وعقائدى، لذا فإن قيام ما يسمى بحركات مضادة ضد هذا اللون من الممارسات الأخلاقية هو أشبه بالجنون فى مجتمع يرفض الخلاف وينبذ الفردانية.

إن المؤسس الأول لفكر المدرسة القومية هو المفكر الفيلسوف موتو أورى نوبوناجا (١٧٣٠-١٨١٠) حيث أسس نظريته القومية على أسس التراث اليابانى الأدبى الذى جُمع فى أشعار "المانيوشو" أو الـ "واكا"، والتى تحتوى على عشرة آلاف قطعة شعرية من مختلف الطبقات اليابانية..

ونظراً لأن مذهبه الفكرى يندرج تحت مذهب الطبيعيين فى ارتباطهم بالأرض والجنس بمعناهم الطبيعى دون زيادة أو نقصان. ويجد الحقيقة فى كونها نابعة من الجذور الأصلية للبيئة اليابانية، مجتهداً فى إضفاء الشرعية عليها ومعتبراً ما سوى ذلك خارج عن الأصل. فهو فى توجهه الفكرى أصولى. وفى توجهه العاطفى طبيعى النزعة، وفى انتمائه العنصرى يابانى مطلق، فهو لا يؤمن إلا بما هو يابانى أياً كان مستوى الفكرة أو مضمونها، ومن هنا نبتت أفكار العنصرية والقومية من آرائه وأصبح له مدرسة تعرف باسمه "مدرسة نويوناجا"، وتطورت هذه المدرسة مع ظروف اليابان السياسية ونظراً للارتباط القوى بين الديانة الشنتوية– الديانة البدائية الأولى فى اليابان –، والتى تعنى "طريق الآلهة" أو "طريق الإله"، وبين آراء نوبوناجا الفلسفية فإن الفكر القومى قد قام على أساس نظرية "نويوناجا" والديانة الشنتوية الأولى.

إن جذور الأصولية اليابانية قد استمدت أفكارها من أنصار المدرسة القومية والتى تمجد طريق الآلهة، والذى تم على أساسه النظام الإمبراطورى فى اليابان.. فالإمبراطور هو من نسل الآلهة اليابانية ويرتبط بوجوده الكيان الشرعى والروحى لليابان منذ مطلع التاريخ... إن عبادة الأجداد هى من أسس أركان الديانة الشنتوية، وأن الأمة اليابانية تنتهى نسباً وصهراً مع العائلة الإمبراطورية التى هى بمثابة الممثل الشرعى للآلهة اليابانية فى حكم التاريخ

الياباني.. ومن هنا يقول نويوناجا : "إن طريق القديسين لا يكون إلا من خلال حكم الدولة"[1].

(SEJIN NO MICHI WA MOBBAR TENKA WO OSAME…)

وفى موضع آخر يكرر ارتباطه الدينى بالإمبراطور ودعوته لإحياء طريق الآلهة الملتقية نسباً مع الإمبراطور قائلاً: "MICHI WA TENNO NO TENKA WO OSAME

.SASE-TENNO NO TENKA WO SHIROSHI MESU MICHI,

أى أن الطريق إلى الآلهة لابد وأن يكون بالخضوع لحكم الإمبراطور ودولته. وبالتالى فإن الشرعية السياسية هى نفس الشرعية الدينية فى الفكر اليابانى القومى.

لقد اعتبر نويوناجا أن الإنسان لا يمكن أن ينفصل عن المعايير الأخلاقية وأن ذلك من قواعد الفطرة الطبيعية، ومن خلال تلك المعايير فإن الإنسان يصبح إنساناً حقاً.

ومن هنا تبرز الدلالة الحقيقية لمذهب نوبوناجا الفكرى والأخلاقى فالارتباط بالقيم الأولية والعودة إلى الفطرة الأولى فى الحياة هو ذاته منبت الفكر القومى والأصولية اليابانية، إن تاريخ اليابان يؤكد ظهور الاتجاه الأصولى اليابانى فى فترات متباعدة كان آخرها إبان الحرب العالمية الثانية، وذلك حينما قادت المؤسسة العسكرية اليابانية إلى حرب توسعية عالمية أخذت مظهراً أيديولوجياً باسم الإمبراطور واستخدمت الأفكار الراديكالية المتطرفة فى الهجوم على جيرانها الأسيويين.. إن أخطاء التاريخ الكبرى تبدأ من آراء بسيطة يتم توظيفها وقت الحروب لأغراض سياسية.

٢ - حركة الميتو Mitogaku (١٧٧٤ -١٨٢٦)

هى حركة فكرية تأسست نتيجة إحساس اليابان بخطر القوى الغربية التى احتكت باليابان قبل عصر الانفتاح التى بدأت على يد تواد يوتانى (١٧٧٤-١٨٢٦) ثم تابعه كثير من المفكرين أمثال يوشدا شوان والذين دعوا إلى طرد الأجانب واحترام الإمبراطور-.Sonno) (Joi وتعتبر حركة ميتو أحد أشكال الفكر اليابانى ولكنها استمدت جذورها من الكنفوشيوسية ثم تحولت إلى القومية بعد أن تفاعلت مع حركة الفكر القومى المعروفة باسم Kokugau، ويعد كتاب Shinron الذى ألفه المفكر Aizawa Seishisai (١٧٨٢-١٨٣٦) هو

(١) Matsumtoto Sannosuke ,"**Tenno Sei Kokka To Seiji Shiso"** Mirajasha Press, 1984, p.39

الأساس النظرى لفكر حركة الميتو اليابانية القومية وترجع كلمة ميتو إلى اسم مقاطعة ميتو ولقد تأسست مدرسة الميتو على يد المفكر تودا يوكوكو (١٧٧٤-١٨٢٦) وهى عبارة عن مدرسة للفكر السياسى الكونفوشيوسى ونتيجة تعرض اليابان لضغوط غربية لفتح أبوابها على العالم الخارجى ولقد استخدم أتباع هذه المدرسة بعض الشعارات السياسية مثل Sonno-Joi، Tagi، Meibun، Kokutai، ولقد ظلت آراء هذه المدرسة السياسية لها تأثير كبير على الحركة السياسية فى اليابان فى فترة ما قبل عصر الانفتاح المعروف باسم kaikoku واستمرت فى التأثير الفكرى والروحى على المثقفين اليابانيين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية(١).

٣ - المدرسة الغربية Yogaku (١٧٦٠ - ١٨٨٠)

لو تتبعنا حركة الفكر اليابانى الحديث نجده لا ينفك عن الفكر اليابانى القومى بل يندمج معه فى كل قضاياه.. فقضايا الأمة يرسمها قادة البلاد ويسعى لتوضيحها المثقفون من القوميين وأغلبهم ممن ينتسبون إلى جذور طبقة البوشى (الساموراى)، وهى الطبقة القائدة للمجتمع اليابانى قبل عصر الانفتاح على الغرب.. فمعروف أن المجتمع اليابانى فى تلك الحقبة المعروفة باسم "إيدو" وهى مركز النشاط السياسى والاقتصادى والعاصمة الرسمية لليابان آنذاك، كان يتألف من أربع طبقات اجتماعية تتسلسل كالتالى : -

طبقة البوشى (الساموراى)
طبقة الفلاحين
طبقة الحرفيين
التجار

ومع إلغاء هذا النظام الإقطاعى المسمى "الباكفو" رسمياً، وقيام حكومة جديدة لها ثوابت قومية لا تحيد عنها، وقد كانت اليابان فى تلك الآونة حريصة على عدم الوقوع تحت سيطرة أجنبية فكان لزاماً عليها أن تتعامل مع الواقع الجديد الذى تحتمه المصلحة القومية فألغت سياسة العزلة والانغلاق التى حافظت عليها الحكومة العسكرية المعروفة باسم الباكفو والتى استمرت قرابة ٢٦٠ عاماً متصلة فيما يعرف باسم عصر العزلة (SAKOKU). وتبنت سياسة الانفتاح تحت ضغط القوى الأوربية فيما عرف بعد ذلك باسم عصر الانفتاح (KAI KOKU) ولقد كان هدف الحكومة الإصلاحية التى عرفت باسم "حكومة ميجى - نسبة إلى الإمبراطور ميجى، وقد بدأ الإصلاح فى الفترة من (١٨٥٣-٧٧) فيما عرف باسم "إصلاح ميجى".

(١)Yasumaru Yoshio "**Kindai Tennozo**" Iwanami Shoten, 1995, p.120.

الظروف الدولية لسياسة الانفتاح اليابانية فى العصر الحديث

إن الظروف الدولية التى سبقت إلغاء هذا النظام السياسى العتيق هى التى عجلت بحركة التطور فى الفكر اليابانى الحديث، وبالذات فكر الدولة الموجه والذى هو بداية تحديث اليابان.

إن اليابان الحديثة لم تكن فى بداية الأمر عازمة على هذا التحول نحو المدنية الجديدة لولا الضغوط التى مارستها القوى الغربية كى تفتح أبوابها على العالم الخارجى، وربما كان الشعور بالضعف والتخلف أمام تلك القوى هو أهم الأسباب التى دفعت حكومة ميجى إلى الرضوخ لمطالبها، حيث قارنت اليابان بين مستواها العسكرى ومستوى تلك الدول فوجدت فارقاً كبيراً يكفى لفقد استقلالها السياسى.. وكان على اليابان أن تعيد تفكيرها من جديد لبناء دولة حديثة أساسها جيش قوى ودولة غنية ورفعت حكومة اليابان آنذاك عدة شعارات قومية منها :

١) شعار الحضارة والتنوير BUMMEI-KAIKA

٢) شعار جيش قوى ودولة غنية FUKO KU- KYOHEI

٣) تعليم غربى وروح يابانية WASHIN- YO SAI

وقامت الدولة بإلغاء نظام التعليم القديم السائد والقائم على تعليم الأخلاق والقيم الكنفوشيوسية إلى تعليم يقوم على نظام غربى. إن عهد النوم العميق الذى استظلت به اليابان قد أخذ فى الأفول وبدأ عهد جديد اتسم بالمادية والواقعية والعلمانية، إنه على عكس العهود السابقة. لم يكن المثقفون بعيدين عن هذا الجو المتوقف والحياة الراكدة، لقد أيقظت التحرشات الغربية باليابان الشعور بالضيق والحاجة الماسة إلى التغيير، لكن ما هو التغيير المطلوب؟ وهل هو تغيير فى نمط الحياة التقليدية؟ أم تغيير النظام السياسى الذى تحكمه قلة من البيروقراطيين بكل ما يحمله هذا النظام من تناقضات وأعراف سائدة؟ أم هو البحث عن أسباب القوة وبالتالى تذليل ما يسهم فى تحقيق هذا الهدف القومى. إنها أسئلة داهمت رجال الحكم فى هذا العصر وجعلت قضيتهم هى البحث عن الحل والإجابة عن تلك الأسئلة.

لقد ساد شعور من التشاؤم لدى طبقة المثقفين الرافضين لمبدأ التغيير والتحول، واليأس من تحقيق هذا الهدف لدى المثقفين الطامحين فى الوصول إلى حل، لقد كانوا – رغم هذا التباين – أصحاب شراكة فى مسئولية البحث عن الحل السديد، وكانوا يعيشون مع الناس بقلوبهم

لكن يحملون على رؤوسهم هموم بلدهم، وكان عليهم قبل التفكير فى اختيار الحل المناسب أن يعملوا حساباتهم التى يتطلبها الشعور بالمسئولية القومية والعمل بمقتضى الضمير الوطنى والأخلاقى.

لقد تحولت المعايير النظرية التى حددتها الحكمة السياسية إلى معايير واقعية تخدم قضايا الاستقلال السياسى بعيداً عن الصدام مع القوى الغربية، فالشعور بالمسئولية يحتم التعامل مع الواقع بحذر، دون التفريط فى الكيان السياسى، هكذا فكر القادة اليابانيون بينما فتح الموانىء اليابانية للملاحة اليابانية، ولعل المفكر الكونفوشيوسى ساكوما شوازن Sakuma Shozan (١٨١١-١٨٦٤) هو من الكوادر التى تعاملت مع الواقع الجديد بعقلانية واستجابة ومرونة(١).

ليس هذا من قبيل التحول الطبيعى - التطور التدريبى - لطبيعة الفكر السياسى فى تلك الحقبة، وإنما كان وليد الضغط والإحساس بالخطر ليس أكثر، لقد كانت هناك حركة تغيير فى المفاهيم الراكدة للفكر السياسى فى تلك الحقبة ابتداء من شكل الدولة وانتهاء بالحركة الفكرية لرواد الفكر الأخلاقى اليابانى، إن النظرة العامة لحركة التغيير التى هبت على اليابان تعطينا كماً هائلاً من الأحداث المتتابعة وتكشف الرغبة فى التغيير لدى النخبة المثقفة فى تلك الفترة لكن متى أو كيف؟ لم يكن فى مقدور أحد التنبؤ بذلك على وجه التحديد. لقد كانت اليابان أشبه بالأمة النائمة فى ظل الطبيعة الجميلة لا تؤمن بالتغيير حتى هبت عليها رياح التغيير القادمة من الغرب(٢).

ملحوظة :

لقد بدأت بوادر التحول السياسى بإعلان التغيير **Go-Isshin** الذى اتبعته سياسات متتالية نحو التحديث، وهو ما يسمى بإصلاحات ميجى. ولم تشهد اليابان تحولاً سياسياً بهذه السرعة على مدى قرنين من الزمان. ربما أن الثورة والتمرد يعدان نوعاً من العصيان الأخلاقى على النظام بشقيه السياسى والاجتماعى، وغياب روح النقد العلنى ربما ساعد على الجمود الفكرى والسياسى آنذاك. لكن ما شهدته اليابان بعد ذلك من تحولات علمية

(١) Mat Sumoto Sannosuke : "**Kindai Nihon no shiteki Jokyo**" pp.36-37. Chuokoron. 1974

(٢) Kasahara Kazuo : "Nihonshi Kenkyu, pp.311-312. Yamakawa Press, 1985.

واقتصادية لامثيل لها، يجعل فهم المعادلة السياسة صعباً، فقد اندمج الفكر الشعبى والسياسى فى منظومة متكاملة تفوق حد المعقول إلى الخرافة حيث جعلت من اليابان دولة فوق العادة من حيث القوة والانضباط. ولقد ساهمت النخبة الاجتماعية والسياسية فى توليد روح قومية عرفت باسم **Kobu-Gattai** جعلت الحماس يدب فى أوصال المجتمع اليابانى.

تلك النخبة لم تتخل عن معاييرها القديمة ولكنها تعاملت مع الواقع بروح جديدة اتسمت بالحذر، فهى بقدر ما تحرص على الاستقلال ضد الأجانب إلا أنها حبذت فتح أبواب اليابان لاستيعاب العصر الجديد فرفعت من نبرة الجدل السياسى حول موضوع طرد الأجانب **Joiron** أو فتح البلاد **Kaikokuron** وتصاعدت الأصوات التى تنادى بإسقاط النظام السياسى القديم **Tobakuron** وقاد الإصلاحيون الجدد حركة التغيير السياسى عام ١٨٦٨ (ميجى ١) مؤكدة ولاءها السياسى للإمبراطور الملكى وأعلنت تشكيل الحكومة الجديدة وأصدرت المبادئ الخمسة للدستور السياسى المعروفة باسم **Go)kajo no Go)seimon)** التى هى نواة الميثاق القديم لحكومة ميجى فى مارس ١٨٦٨. وتتابعت الإصلاحات السياسية والاقتصادية والدستورية على التوالى.

بداية عصر الدراسات اليابانية الحديثة

الدراسات اليابانية فى دوائر المعارف الغربية

ومـن الدراسـات التـى حظيت باهتمام الدارسين الأجانب نجد الكتاب القيم للدكتور أنـازو نيتوبـيه (بوشـيدو) وهو كتاب قيم فى أسلوبه قيم فى مضمونه. ونخص الدكتور انازو نيتوبـيه بهـذا الاهـتمام لأنـه لم يحـظ باهـتمام اليابانيين المتخصصين فى دراسات الفكر اليابانى الحـديث أو قـبل الحـديث. ولعـل السبب الذى يكمن وراء هذا التجاهل هو اعتناق المؤلف للديانة المسيحية، وهو ما يعنى فى المقام الأول غياب روح الولاء والطاعة للتربة اليابانية بكل مـا تعنى تلك الكلمة من إيجابيات وسلبيات. ولو أن اعتناق الدين لذاته لا يعنى كثيراً لعامة المتخصصين ولكن الخروج عن روح اليابان التقليدية المعروفة باسم (روح ياماتو) التى ترمز إلى دولـة الـيابان القديمـة وروحهـا. وقـد لاحظـت أن ظهور كتاب (البوشيدو) للدكتور/ نيتوبيه كان مرتبطاً بأحداث غريبة أحاطت باليابان عند مطلع العصر الحديث تلك الأحداث قد غيرت من القيم السائدة فى مجتمع الساموارى أى مجتمع (الأبطال) المخلصين لليابان ممثلة فى إمبراطورها وكل ما يمس شرف اليابان ماضيها وحاضرها.

لقـد كـان للـتحول الجديـد نحـو الـثقافة الغـربية أثره البالغ فى تنشيط الاهتمام باليابان الجديـدة مـن وجهـة نظـر الباحثـين الغـربيين. ولعـل هذا الاتجاه كان له أثره البالغ فى زيادة الاهـتمام بمعـرفة تلـك الجزر المتفرقة فى المحيط الهادى. وبدأ المعاصرون الأوربيون بداية من عصر ميجى محاولات فردية ورسمية لفتح قنوات اتصال مع اليابان تارة باسم التنوير الدينى – التبشير المسيحى – وتارة باسم البحث عن الحقيقة، ونظراً للبعد الجغرافى بين اليابان وأوربا فقد كانت وسائل المواصلات المتاحة هى السفن التجارية التى ترسو فى موانئ اليابان، وأهمها ميـناء يوكـوهاما وناجازاكى وكوبيه، وتلك الموانئ كانت هى المحطات الحضارية – وواجهة الـيابان المفـتوحة على الغرب، وإن كان هناك تمثيل قنصلى من الدول الغربية وبالذات أمريكا وفرنـسا وبـريطانيا وروسـيا إلا أن العوائـق التـى تمثلها التقاليد اليابانية كانت تشكل العقبة الكـؤود فى الـتعامل مع الشعب اليابانى، وبالطبع فإن اللغة هى المشكلة الجوهرية، فالشعب اليابانـى انطوائـى فى معاملاتـه مـع الأجنبـى ربـما بسبب الشعور بالتخلف والنقص وعدم القـدرة عـلى فهـم اللغـات الأجنبـية مـن جانب، وربما بسبب الخوف من التعامل مع عنصر أجنبـى محظور التعامل معه فى ظل سياسيات الحكومة اليابانية التى كانت تحظر على الأجانب

دخول المدن والقرى اليابانية باستثناء الموانئ البحرية فقط. وقد سبب ذلك نوعاً من الاستياء تجاه اليابان، وأصبح التعامل يمثل نوعاً من الجريمة غير الصريحة، وبالتالى فإن تلك المخاوف من التعرض للعقاب جعلت أغلب اليابانيين يفضلون الابتعاد طالما لم يصدر مرسوم رسمى بذلك..

إن أوضاع اليابان فى تلك الحقبة كانت من الصعوبة بحيث يصعب فهم وتفسير ما يضمره المواطن العادى حيث ظلت الحكومة تفرض عزلة سياسية مدة ٢٨٠ عاما قبل عصر الانفتاح "عصر ميجى"، وفجأة ألغت تلك القوانين والسياسات وتبنت سياسة جديدة فى مظهرها ولو أنها لم تتخل عن مخاوفها وحذرها من التعامل مع الأجنبى.

إن إحدى القضايا الشائكة فى هذا العصر الجديد هى مشكلة العوائق اللغوية والأخلاقية والاجتماعية التى تقف حائلاً دون الانطلاق والأخذ بأسباب العصر الجديد. وربما كان ذلك أحد الأسباب لزيادة الاهتمام لكشف هذا الغموض فى الشخصية اليابانية، بل زاد ذلك من الدعاية لليابانيين والانبهار بأخلاقهم أو تقاليدهم.. ولكن ترى هل هذا هو حقيقة الأمر؟ وما هو الوجه الآخر الذى لم يكشف عنه فى تلك الحقبة.

لقد بدأت الدراسات عن اليابان منذ ذلك الحين بكتابات عن اليابان لا تخلو من سخرية ونقد، واهتمام واحترام من جانب آخر... وربما تكون تلك الحقبة هى أهم فترة كانت اليابان على طبيعتها الحقيقية. إن رؤية أجنبى فى اليابان وبالذات من الأوربيين كان يعد شيئاً نادراً لأى يابانى، وقد اهتم الشعب اليابانى بالكتابة عن هؤلاء البيض الذين يختلفون فى الشكل والمظهر عنهم، والعادات والتقاليد اليومية. ولم يكن أمام أى مثقف سوى التعبير عن رغبته فى تحقيق حلمه بالسفر إلى تلك البلاد البعيدة.

إن كتابات الرحالة الأوربيين عن اليابان فى تلك الحقبة، هى البداية الفعلية للدراسات اليابانية، وقد شملت كتاباتهم صورًا كاريكاتورية عن اليابان وعاداتهم فى المأكل والمشرب وبيوتهم التى كانت تستخدم كل ما هو صينى وتقلده ابتداء من اللغة وانتهاء بطريقة الطعام والملبس.

وبدأت البعثات القنصلية فى اليابان محاولات جادة لدراسة وفهم اللغة اليابانية التى تعتبر لغة لا تنتمى إلى أى أسرة لغوية يمكن من خلالها دراسة وفهم هذه اللغة، فرغم أن اليابانيين استعاروا الحروف الصينية فى الكتابة إلا أنه لم يكن هناك نظام نحوى يمكن فهمه بطريقة عقلانية – فاليابان تضم العديد من الجزر وكل جزيرة تستخدم لهجاتها المحلية وحتى

العاصمة "إيدو" تم تغييرها ليصبح اسمها "طوكيو" ولها لهجتها أيضاً مما جعل الحكومة اليابانية تسعى لتوحيد التعليم فى الجزر المختلفة لتصبح لهجة طوكيو العاصمة هى اللغة الرسمية فى الكتابة والتخاطب. إن التباين والتعدد فى اللهجات اليابانية كان يمثل عقبة كبرى لفهم هذه اللغة وبالتالى هذا الشعب.. وإليك أسماء المؤلفات المتعلقة باليابان فى تلك الحقبة:

العام	اسم المخطوط - المؤلف	اسم المؤلف
1874	The history of Japan. 2 vols.	ADAMS F. OTTOWEL
1874	Transactions of the asiatic society of Japan	
1874	Sketches in the su burbs of Yedo	PURCELL T. A.
1875	Kaitakushi N Reports and letrrs of the kaitakushi. The loyal league.	KEBURON
1879	The light of Asia A comprative study of the Japanese / Korean language	Arnold S: Edwin Aston
1880	Youfg Japan N Yokohama and Yedo Japanese chronological tabeles	Black Bramsen W.
1881	**Ahand book for travelters in central and northern Japan** Historical notes on Nagasaki	Woolley W.A.
1882	Kojiki record of ancient matters. The land of the morving The pet of the consulate	Chain Baren Dixon W. Gray Carruthers Annie
1891	Japanese girls and women	Becon
1893	A japanese interior	Becon
"	Japan as we Saw	Bickertsteth
"	Landocope (gradening) in Japan	Kondor
"	La restauration Imperaile on Japan	layre
1894	The life of sir H. Parkes same time her majisty's minister to Japan	Diekins
	Glimpesu of unfoamiliar Japan	Han
	Letters from the land of the rising sun	Bama
1895	Bibliography of Japanese empire	Winkshuten
	Rambles in Japan : the land of the rising sun	Tristran H. Baker
1896	How I Became a Christian	Uchimura Kanzo
1897	Letters received by the East India company from its servants in the East	Danvers Sr. Foster W.
	Letters from Japan	La Faji Diosy Arthor
	The new far east	
1898	Catalogue of Japanese printed books and manuscripts in the library of the British museum	Douglas R.K.
1899	A History of Japanese literature.	Aston
1900	Modame Butterfly	Berasko

إن دراسة اليابانيين دون فهم لغاتهم أمراً شاقاً، فقد كان أشبه بمحاولات شامبليون لفك طلاسم اللغة الهيروغليفية القديمة، مع فارق واحد هو أن الذين دونوا تاريخهم من المصريين لم يكن منهم أحد على قيد الحياة، أما اليابانيون فهم أحياء، ويصعب فهمهم أو التعامل معهم. بالتأكيد كان حرص الجهاز البيروقراطى الحكومى على توظيف الكفاءات من اليابانيين الذين لديهم معرفة باللغات الأوربية تعد أحد المداخل الحسنة التى جعلت الاحتكاك ضروريًا بينهم وبين البعثات الدبلوماسية الأجنبية، وربما كان ذلك هو البداية الفعلية لدراسة حضارة الغرب ولغاتهم، وبزوغ الاهتمام المشترك بينهم وتطور العلاقات الثقافية بين الجانبين.

الدراسات اليابانية فى مصر والشرق الأوسط

إن الدراسات اليابانية فى مجال الفكر والثقافة واللغة تعد حديثة على منطقة الشرق الأوسط وبالذات العالم العربى، الذى لم يكن هناك اتصال مباشر بيننا وبينهم إلا من خلال القنصليات الموجودة آنذاك والتى لم تكن فى بؤرة اهتماماتها نشر الثقافة اليابانية لدى الإنسان العربى، ولا كذلك نشر الثقافة العربية لدى اليابانيين فى تلك الحقبة. ومع بداية احتدام الصراع السياسى بين العرب وإسرائيل اتجهت اليابان تحت ظروف اقتصادية دولية إلى منطقة الشرق العربى باحثة عن علاقات أكثر قوة من ذى قبل لتقوية مشاعر الصداقة بين البلدان العربية واليابانية.

ولعل من أهم الكتب التى كتبت عن اليابان نجد كتاب الزعيم الوطنى مصطفى كامل "بلاد الشمس المشرقة (١٩٠٤)، وقصيدة حافظ إبراهيم "غادة اليابان" التى ألفها فى نفس العام، كذلك نجد المقالات التى ظهرت فى مجلة المقتطف فى الفترة من (١٩١٦-١٩٢٧) والتى تمجد انتصارات اليابان على روسيا فى تلك الفترة، كذلك نجد علاقة اليابان بالإسلام التى بدأت من خلال جهود فردية، أهمها أحد الضباط المصريين السابقين الذين ذهبوا إلى اليابان لنشر الإسلام أو للتعريف به ثم تعارفه مع الدعاه المسلمين فى اليابان وقيامهم بالتعريف بالإسلام فى ذلك الوقت عام ١٩١٠.

إن النصف الثانى من القرن العشرين، وما صاحبه من تحرر من الاستعمار المباشر لكثير من الدول العربية، مهد بعض الطرق أمام اليابان لإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع الدول

العربية بعد أن زال كل شك فى النوايا السياسية اليابانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فأنشئت السفارات وأرسلت البعثات الدبلوماسية وبدأ تبادل البعثات الدراسية بين مصر واليابان فى الخمسينيات من القرن العشرين إلا أنها كانت لدراسة العلوم الطبيعية، وكان من الضرورى أن يصاحب ذلك إنشاء مركز ثقافى فى اليابان فى مصر فى عام ١٩٦٥، وكان ذلك بداية لإزالة بعض العوائق التى حالت دون إقامة دراسات يابانية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين وبدأت خطوات واثقة تعد بظهور حركة منتظمة للدراسات اليابانية فى مصر والعالم العربى"(١).

الاستنتاج

لقد كان للنهضة اليابانية جذور قديمة ساعدت على سرعة الالتحام مع العصر الحديث. وتلك الجذور كانت ممثلة فى بزوغ الاتجاه العقلانى الجاد فى حركات الفكر اليابانى الحديث والتى قادها مؤسسو حركة الحضارة والتنوير أمثال فوكوزاوا يوكيتشى، والتى نادت بضرورة فتح العقل اليابانى على الحضارة الحديثة ورفض كل أشكال الرجعية الفكرية الرافضة لذلك. ونظراً لأن طبيعة الفكر الدينى عند اليابانيين مرتبطة بقوانين الأرض القائمة على النفعية والسببية فقد ساعد ذلك على هذا التحول إلى الحضارة المادية ولم تكن هناك عوائق عقائدية تحول دون التعامل مع عصر المادة، مما أضاف حرية فى الحركة والإنجاز. ولو أن العناصر العقلانية فى الفكر اليابانى لم تكن كافية للتحول السريع لما أمكن ذلك من تحرير العقل والروح اليابانية التى أثبتت وجودها فى ميدان العلم والعمل.

---

(١) د. عصام حمزة : الدراسات اليابانية فى مصر والعالم العربى ، عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضى لإنشاء قسم اللغة اليابانية. مجلة كلية الآداب، ١٩٩٩.

دور العقيدة الدينية فى النهضة اليابانية[1]

مقدمة

نهضة الأمم مرهونة بعقيدتها فى الحياة التى ترتكز عليها، فالنهضة الأوربية ارتكزت على العقيدة البروتستانتية.. وهى عقيدة طورت المفهوم التقليدى لعلاقة الإنسان بربه من علاقة عقيمة لا تثمر إلى عقيدة ذات مفهوم جديد.

هذا التطور فى العقيدة الدينية أوجد مبررا شرعيا للأخذ بأسباب النهضة والانطلاق لتحقيق المآرب الدنيوية، فلولا ذلك لظلت أوربا على حالها تعانى سطوة الكنيسة وتسلطها على كل شىء.

وقد يقول قائل إن هذا المفهوم الجديد فى الحياة الدنيوية قد جلب الأطماع الشريرة وجعل غاية الإنسان هى الدنيا فقط وجرده من ولائه المطلق للدين.

أقول إن ذلك قد يكون صحيحا إذا اكتفى الإنسان بحاجاته دون أن يمتد بنهضته إلى الآخرين، فالانطلاقة الجديدة التى تمثلت فى العقيدة البروتستانتية قد أعادت التوازن فى العلاقة بين الدين والدنيا بما لا يتعارض مع الواقع، فإن إعادة تفسير العقيدة بما يتلاءم مع مفهوم العصر قد حقق الاستقرار النفسى وساعد على الامتداد بتلك العقيدة إلى المجتمعات الأخرى؛ أى إنها ثورة دينية بمعناها الحقيقى.. فقد ساهم رواد النهضة فى إعادة تفسير العقيدة وجعلوا الهدف الدنيوى لا يتعارض مع الحياة الأخروية، ليس هذا فقط بل أيضا أعطوا بذلك الشرعية الدينية التى تزيل كل المخاوف من الانحراف عن الطريق المستقيم.

النهضة فى اليابان ذات طابع فريد من حيث الظروف ومن حيث العقيدة، فالظروف التى أحاطت بها هى التى ولدت الانطلاقة القومية، فإذا كانت الثورة الدينية فى أوروبا قد قامت على التناقض بين مفهومى الدين والدنيا، فإن الظروف الدولية التى أحاطت باليابان فى نهاية القرن الثامن عشر هى التى حركت العاطفة القومية نحو النهضة الصناعية.

ولكن تلك العاطفة القومية قد أثرتها عوامل ثقافية وأخلاقية مكنت لها ودفعتها إلى الأمام، فطبيعة المجتمع اليابانى وتركيبه الثقافى هو الذى ضمن وحدة الأمة وتكتلها نحو تحقيق الهدف القومي المرجو.

---

(١) ملخص رسالة الماجستير المقدمة إلى الجامعة الدولية اليابانية – قسم العلاقات الدولية شعبة الدراسات اليابانية ١٩٨٦.

وقد يتعذر ذلك فى كثير من الثقافات الأخرى المجاورة لها كالصين وكوريا والهند، فالنظام الهيراليكى الذى حكم اليابان من نهاية القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين قد أوجد نوعا من الاستقرار السياسى والاجتماعى ضمن سرعة القيادة والتوجيه القومى نحو الهدف المرجو.

وهذا النظام الهيراليكى قد قام على فكر دينى سياسى واحد. فالأمة اليابانية بكيانها الدينى والاجتماعى تستمد وجودها الروحى من الإمبراطور، فالإمبراطور هو أخر الآلهة الأحياء والممثل الشرعى للآلهة المنتقلين ونظراً لأن آلهة الأمة اليابانية تلتقى نسباً وعرقاً مع الآلهة والأباطرة الذين حكموا اليابان، فإن روح الأسرة قد سادت العلاقة بين أفراد الأمة والإمبراطور. فالإمبراطور هو الأب الحقيقى لأفراد الشعب وهم أبناؤه، وبالتالى فإن طاعته والولاء له يعد أعلى قيمة أخلاقية ومنبع رضاء الأجداد من الآلهة، فليس هناك انفصال بين اعتقاد الشعب اليابانى وحكامه، فالحكام والشعب يعتنقون نفس الدين ويطبقونه فى الواقع.

موضوع الرسالة

الهدف الرئيسى من هذه الرسالة هو إبراز دور العقيدة فى توحيد صفوف الأمة وإمدادها بالقوة الروحية القادرة على إنجاز المهام الموكولة إليها.

فإذا كانت النهضة الأوربية قد ساعد على انطلاقها التناقض الحقيقى بين الفكر الكنسى وبين متطلبات الواقع الدنيوى، وبالتالى فإن الحاجة إلى إعادة تفسير العقيدة الدينية بما يتلاءم مع الواقع أصبح أمرا جوهريا، فإن النهضة اليابانية قد ساعد على إيقاظها الشعور بالضعف والتخلف اليابانى إزاء القوى الغربية التى تلاشت باليابان مجبرة إياها على فتح موانيها بالقوة، وقد ساعد ذلك الإحساس على تقوية الشعور السياسى بأهمية بناء جيش قوى يمنع هؤلاء البيض من الاقتراب من دولة الأجداد.

وفى هذه الحالة يهمنى جدا أن أشير إلى أن تحقيق هدف القادة السياسيين لليابان والذى كان ينحصر فى بناء جيش قوى قد ضاعف من الرغبة فى خلق نوع من الوحدة القومية أو الفكر القومى الذى يمهد الطريق لتحقيق ذلك الهدف الكبير.

وقد حددت اليابان هدفها فى استجلاب المعرفة العلمية وتحقيق الهدف القومى الذى يحفظ كرامة الأمة، وهنا يحلو لى أن أوضح الأيديولوجية السياسية التى لجأ إليها رواد النهضة اليابانية، فقد استخدموا بمهارة فائقة الفكر الدينى القائم على الطاعة والولاء للإمبراطور،

فالـولاء للإمـبراطور يـستدعى الطاعة له وخدمة دولته ونوابه الممثلين فى القادة السياسيين، فارتـبطت فى أذهـان اليابانيـين العلاقـة بـين طاعة الدولة وطاعة الإمبراطور فأصبح العمل لأجل الدولة مطابقا فى المعنى لطاعة الإمبراطور.

فقـد أعـادوا تفـسير العقـيدة الدينـية فى ثـوب جديـد بحـيث ينعدم التناقض بين القيم الـروحية للـشعب والأهداف القومية للأمة، فكل أفراد الأمة اليابانية يرون فى تحقيق أهداف الدولـة منتهـى الطاعة للإمبراطور، ونظرا لأن الإمبراطور هو ممثل الآلهة من أجداد الشعب اليابانـى فإن ذلك يعد أعلى قيمة أخلاقية وطاعته تعد نوعا من رد الجميل الذى حصلوا عليه مـن آبـائهم وأجـدادهم المنتقلـين. ونظـرا لأن الـشرعية الدينـية قد انتقلت من مجرد السلطة الفـردية للإمـبراطور وعائلـته إلى القادة السياسيين، فإن الولاء لهم والانصياع لأوامرهم قد كـان لـه أكـبر الأثر فى تحقيق نهضة اليابان السريعة، وربما ذلك أيضا قد جرف اليابان إلى تيار التوسـع والاسـتعمار فانـتقل من مجرد دولة تسعى إلى حفظ استقلالها السياسى من تحرشات الغـرب إلى دولـة اسـتعمارية مهددة بذلك استقلال جيرانها الآسيويين إلى أن انتهت بهزيمتها الأخيرة فى الحرب العالمية الثانية.

ولـولا تلـك العقـيدة الدينـية التـى اسـتنبطها رواد النهضة اليابانية لظلت اليابان دولة مـتخلفة بـل مستعمرة غربية شأنها بذلك شأن المستعمرات الغربية الأخرى، ويجدر الإشارة هـنا إلى أن وحـدة الأمـة اليابانية كانت متوفرة تحت شعار الإمبراطور، ثم تطورت إلى وحدة قومية ذات طابع متطرف سياسى لم يشهد التاريخ مثله من قبل.

خاتمة:

مـا مـن نهـضة حديـثة إلا ويقـف وراءهـا مـنهاج من القيم الدينية تكون بمثابة الطاقة الـروحية التـى تغـذى عقـيدة العمـل، فلـو نظـرنا إلى النهـضة الأوربية الحديثة لوجدنا أنها اسـتمدت عقـيدتها فى الحـياة والعمل من العقيدة البروتستانتية وهى قيم دينية أخلاقية تجعل العمل والسعى فى الدنيا جزءًا من الإيمان، بل فريضة إيمانية تعادل أعلى الفرائض.

كـذلك الحـال فى النهـضة اليابانـية، فـإن إعـادة تفسير العقيدة الدينية بما يتلاءم مع متطلـبات العـصر قـد أوجـد حـلا سياسـيا لمـشكلة النهضة، فقد جعلت من السعى لطاعة الإمبراطور قيمة دينية أخلاقية انتهت إلى الإنجاز والعمل.

لا اعتقد أن هناك أمة يمكن أن تنهض دون عقيدة يرتضيها الشعب، ودون أن تتعارض تلك العقيدة مع قيمه الأخلاقية والاجتماعية.

قضية الأخلاق عند المثقفين اليابانيين

فى عصر ميجى

تعتبر قضية الأخلاق عند المثقفين فى عصر ميجى من أكثر القضايا جدلا وحساسية.... ولم تكن قضية عادية يمكن التهاون فيها فقد عبرت عن أزمة المثقفين فى تلك الآونة، حيث عكست الحيرة والرفض لمعانى التقدم الجديدة التى صاحبت فتح أبواب اليابان عند بعض المثقفين وكان تيار الرافضة فى المثقفين منتميًا أغلبه إلى "المدرسة القومية" التى تعبر عن الروح اليابانية وهى روح الالتزام بالنظام الإمبراطورى فى معناه السياسى والثقافى والاعتقادى.. لقد حدث نوع من الهزة الثقافية نتيجة ضغوط الغرب على اليابان ممثلة فى فتح موانيها وتوقيع معاهدات تجارية مع بعض الدول الأوربية، وهزيمة الصين الكبرى على يد الإنجليز فيما يسمى بحرب الأفيون.

إن عهد النوم العميق الذى استظلت اليابان به قد أخذ فى الأفول وبدأ عهد جديد يتسم بالمادية والواقعية والعلمانية، إنه على عكس العهود السابقة التى لا ترى سوى الاعتقاد فى الخرافات والاعتماد على الوهم، إنه عهد ما يسمى بالإقطاع، أو التقاليد الإقطاعية، إنه عهد عبودية القادة والسادة دون مناقشة أوامرهم، إنه نظام الولاء المطلق والخضوع الأعمى للماضى.

لم يكن المثقفون بعيدين عن هذا الجو المتوقف، والحياة الراكدة اكتفاء بما تجود به الأقدار، لقد أيقظت التحرشات الأوربية باليابان الشعور بالضعف والخواء، والإحساس بالحاجة إلى التغيير، لكن ما هو التغيير المطلوب ؟ هل هو تغيير الحياة الاعتيادية ؟ هل هو تغيير النظام الإقطاعى بكل ما فيه من تناقضات وأعراف ؟ هل هو القوة والبحث عن أسبابها ؟ هل هو الرضا بالسيطرة الأجنبية والسير وراء النظام الغربى ؟ هل هو المفاهيم الأخلاقية التى تعوق الوصول إلى التقدم ؟

إنها أسئلة كثيرة داهمت رجال الحكم فى عصر ميجى، وجعلت قضيتهم هى البحث عن الحل والأجوبة لهذه الأسئلة.

ولقد كان المثقفون فى هذا العصر أشبه ما يكونون بالغرقى فى بحر من التشاؤم، واليأس من الوصول إلى الحل.

لقد كانوا أصحاب شراكة فى مسئولية البحث عن الحل السديد، والإجابة السليمة لتلك

الأسئلة، كانوا يعيشون مع الناس بقلوبهم لكن يحملون هموم بلدهم، إن قضية الأخلاق لم تكن بالمعنى العلمى النظرى الذى هو فى إطاره العام لا يختلف عليه اثنان، إنما فى مضمونه الذى يمثل العرف السائد، القيم الجميلة، الانتماء للإمبراطور. إن التخلى عن شىء من تلك الأخلاق يحتاج إلى زمن طويل وثورة غير عادية، ولا يعتقد أحد أن بإمكان الحكومة أن تلغى ذلك فى غمضة عين. إن قضية الأخلاق فى ذلك العصر تمثل شقين:

١- شق يتعلق بكيفية تحقيق شعار قوة اليابان وثروتها

٢- شق يتعلق بالعقبات الأخلاقية التى تمثل الجبهة الرافضة لهذا الاتجاه

ولكى نصف المثقفين فى اليابان فى هذا العصر، فإن اختيار مجلة السادس من ميجى (مى روك زاشى) يمثل التجمع الثقافى الكبير فى تلك المؤسسة (مى روك شا)، لذلك فإننى سأتناول أولا تلك القضية من خلال كتابات أعضاء هذه المؤسسة، وهم ذوو اهتمام بالموضوع الحضارى وقضية التقدم، وأغلبهم ذوو انتماءات قومية وتعليم كفوشيوسى.

ترى ماذا أسهمت تلك المؤسسة فى توعية المجتمع الثقافى تجاه الأفكار الجديدة القادمة من الغرب ؟ إن البحث يعالج قضية المجتمع الثقافى (المثقفين) فى عهد ميجى ممثلا فى مؤسسة (المى روك شا) والموضوعات التى تناولوها. والأخلاق (فى وجهة نظر الباحث) ليس المقصود بها المعنى التجريدى، ولكن النظام الأخلاقى بكل سلبياته وإيجابياته، إن المثقفين حاولوا فيه محاولات ناجحة فى تنوير الطبقة المثقفة بنجاح الحضارة الأوربية، فى الوقت الذى حرصوا فيه على تثبيت القيم الجميلة فى وجدان الأمة – إن قضيتهم الأولى هى كيف تصل اليابان إلى تحقيق شعار، دولة قوية وأمة غنية.

إن هذا الشعار كان يمثل الهدف وعليهم الوصول إليه – إن دور المثقفين كان رائعا بحيث كان يلتحم بصدق مع مشروع الحضارة والتنوير الذى تبنته الحكومة اليابانية فى عهد ميجى.

لقد نجح هذا الدور فى نقل وترجمة كل ما هو مكتوب إلى اللغة اليابانية، وتمثل هذا الدور بوضوح فى كتابات أعضاء فى مؤسسة "المى روك شا" كذلك بعض الترجمات لمثقفين لم يكونوا أعضاء فى تلك المؤسسة.

حضارة اليابان[1]

ماهية العلاقة بين التقدم والحضارة والسعادة

- إن للسعادة بالغرب أهمية كبرى حيث تمثل الرفاهية للأفراد، والتى أثمرتها الحياة العصرية ولكنها لم تحقق السعادة المنشودة للفرد.
- كان المقصود قديما بالحضارة :
- تحقيق الاستقرار النفسى والأسرى للفرد والرفاهية المترتبة على ذلك.
- بعد الانتقال للعصر الحديث ظهرت كتابات تتساءل عن ماهية الحضارة.
- بحثت الدول الصناعية الكبرى عن الاستعمار واحتلال الدول الصغيرة ونهب ثرواتها.
- تم الفصل بين الدين والدولة لتصبح الدولة هى الراعية لجميع أنواع النشاط الإنساني.

اختلاف فلسفة الحضارة عند كل بيئة ثقافية وكل دولة :

فمثلاً :

- الثقافة الأوروبية والتى انبثقت عنها الحضارة الأوروبية.
- نتيجة للتقاليد الدينية التى حكمت الثقافة الأوروبية والتى كانت صارمة متداخلة فى جميع شئون الحياة.
- ظهرت فى أوروبا (نزعة تحررية) لبدأ حضارة جديدة بعيدة عن الدين.

حيث قامت الحضارة الأوروبية على (النزعة العقلانية النقدية) والتى نقدت الأفكار الكنسية العقيمة المعارضة للعلم والمضطهدة للعلماء.

- كانت هذه النزعة وليدة ضغط نفسى بسبب هيمنة (الكنيسة الكاثوليكية) والتى كانت تحكم المجتمع بمفاهيم دينية غارقة فى الجهل والتعنت وقد ظهر الاتجاه التحررى الرافض لهذه الهيمنة المتعسفة والذى دعى إلى التحرر من سيطرة رجال الدين والكنيسة على كل نواحى الحياة، وقد كان هذا الاتجاه هو أول علامة صحية مرضية عن الاتجاه الصحيح حيث إن روح النقد هى البداية الصحيحة لأى اتجاه عقلاني.

---

(١) ملخص محاضرات ألقاها د. علاء على زين العابدين على طلاب الفرقة الأولى بقسم اللغة اليابانية فى الفترة من عام ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٤.

- ثم بدأ هذا الاتجاه النقدى يزداد قوة بين زمرة المثقفين ورجال العلم وهم قادة هذا الاتجاه فى أوروبا. ولكى يبدأ الإنسان بداية سليمة لابد أن يحرر العقل، حيث إن تمكين العقل وسيطرته هما مفتاح الرقى والتقدم، وقد كانت هذه البداية فى أوروبا هى سر انطلاقها السريع وتحررها من قيود الدين والتقاليد ورجالهم.
- احترم الأوربيون العقل كنتيجة لتبنيهم النزعة العقلانية البحتة وما يترتب على ذلك من رفضهم للخرافة والتقاليد والأعراف البالية.
- ثم احتكموا إلى مقاييس العلم ومعاييره الذى حل محل الدين كسلطة مطلقة على حياة الإنسان.
- كان رجال العلم فى ذلك الوقت مضطهدين من رجال الدين، ومتهمين دائماً بالهرطقة حيث اعتبر رجال الدين العلم وقفاً على رجال الدين وحكراً عليهم، وأن تدخل أى شخص غير رجال الدين فى الشئون العلمية هو نوع من الهرطقة وهى الكفر.
- وكنتيجة للمعاناة الشديدة التى عانتها إيطاليا بوصفها مقر الكنيسة الكاثوليكية بدأت شعلة الثورة فى الاندلاع من إيطاليا ثم امتدت تباعاً إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا لتعلن مولد إنسان أوروبى جديد قد تحرر من نير الخرافة وآمن بالعقل وحكمه، ومن هنا كانت البداية الجديدة لأوروبا.
- تبع بداية العصر الجديد بزوغ فجر عصر الآلة والميكنة الحديثة، وكانت هذه من أهم ثمار الاتجاه العقلانى الذى احترم العلم وقدس العمل.
- وفى الحقيقة توجد بعض الكتابات الأوروبية المنصفة تؤكد التأثير الكبير لفلاسفة العرب فى هذا العصر - وعلى رأسهم الفيلسوف ابن رشد - على أفكار مثقفى أوروبا فى هذا العصر خاصة جنوب فرنسا ونابولى بإيطاليا.
- وبالطبع كان للأندلس وما فيها من حضارة علمية زاهرة فى هذا العصر أكبر التأثير على الاتجاه الأوروبى فى ذلك الحين نظراً لقربها الشديد من المدن الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والتى كانت رائدة هذه الحركة التحررية العقلانية.
- ولكن مازال أغلب الأوروبيون يتعاملون بجحود شديد مع الفضل العميق للحضارة العربية الإسلامية على الحضارة والتقدم والمدنية الأوروبية الحديثة، ولكن من يملك أبواق الدعاية الكاذبة الرنانة يستطيع قول ما يشاء.

- كانت بداية التحرر هى ظهور الحركة البروتستانتية (بيوريتانزم) وقد كانت نوعًا من الاعتراض على الأحكام الكنسية والخروج عن طاعتها وتحقيق مفهوم جديد للدين حتى يكون الدين فى ثوب أكثر حرية واحتراماً للعقل، وقد تركزت هذه الحركة بصفة خاصة فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا.
- أسهم هذا الاتجاه الجديد بشكل فعال فى تحرر الفرد ونهضة العلم وانكماش دور الدين حتى يصبح له السيطرة داخل جدران الكنيسة فقط.
- وترتب على هذا أن أصبحت الدولة العلمانية المدنية غير الدينية هى الأساس الذى نهضت على أكتافه الحضارة الأوروبية.
- وكان من ثمار هذه النهضة ارتفاع مستوى المعيشة وانتشار القيم المادية الهابطة وانكماش دور رجال الدين وانحساره إلى الكنيسة فقط، ومن هنا ظهر الانحلال فى هذه المجتمعات والذى أصبح المرادف للحرية، وباسم هذه الحرية الزائفة تم ارتكاب الكثير من الجرائم وانتهاك الحرمات.
- وكان فى هذا تلويث للحرية والتى هى من أسمى معانى الحياة وهى تعنى (حق كل إنسان فى الحياة الكريمة والاعتقاد والاستقلال).
- كان كل ما نادت به أوروبا فى بداية نهضتها شعارات تعبر عن حاجتها الطبيعية لهذه القيم وبالتالى فإن العصور المظلمة التى عاشتها أوروبا كانت هى السبب الطبيعى لهذه الدعاوى والشعارات.
- أصبح الهجوم على الأديان من وجهة نظرهم أمرًا طبيعًا لاعتقادهم أن جميع الأديان تسيطر على حرية الفرد وتكبل طاقاته الإبداعية.
- وقد كان تعميم هذا الحكم أحد الأخطاء الفاحشة التى وقع فيها الأوروبيون فى غمرة شعورهم بالقوة بعد التحرر والثورة الصناعية، ومن هنا كانت دعوة أوروبا إلى فصل الدين عن الدولة لا تتناسب وجميع المجتمعات والأديان بسبب الاختلافات الجذرية بينهم.
- ولكن نظرا لوقوع غالبية الدول العربية وغير العربية تحت نير الاستعمار الأوروبى فقد كان طبيعياً أن تنشأ تطورات بين المحتل والشعوب العربية المسيطر عليها نظراً لاختلاف رؤية كل منهم لوظيفة الأديان وأهميتها ودورها، وأيضا لسعى الأوروبيين لفرض وجهة نظرهم على شعوب تختلف عنهم كل الاختلاف روحياً وعقائديا وتاريخيا.

- ومن هذا نستنتج أن الحضارة هي من وجهة نظر الغرب (التحرر من كل ما هو ديني ومقدس وإثبات كل ما هو عقلاني مادي بحت، حيث لا يهتمون بالجانب الروحي من الحياة ولكن بجانبها المادي فقط).

كان للتقدم الصناعي في أوروبا سلبياته الكبرى ومنها :

♠ أولاً:

(١) نتيجة لارتكاز الدول المتقدمة على العلم فقط وإلحادها، سعت هذه الدول إلى جعل الإنسان مجرد ترس في آلة لا هم له سوى عمله وحياته المادية وإشباع غرائزه التي تعتبر الوقود الذي يتزود به لمواجهة ضغوط الحياة العملية دون انهيار، وترتب على هذا الخواء الروحي التام لهذا الإنسان.

(٢) أيضاً مخالفة الفطرة الإنسانية التي تحتاج إلى الوقود الروحي كما تحتاج إلى الإشباع الجسدي، كان سبباً في انهيار بعض هذه الدول وعدم قدرتها على المواصلة – مثل الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي كان قوة ضاربة لا يستهان بها – حيث جعلت من الإنسان الذي هو أساس بناء كيان المجتمع مجرد حيوان قوي مفكر فقط.

♠ ثانياً:

(١) ظهور النزعة الاستعلائية العنصرية التي ميزت الإنسان الأوروبي تجاه أي إنسان غير أوروبي وظهر ما يسمى بالتفرقة العنصرية التي تنبع ليس عن الفروق الفردية في المهارات والنبوغ بل على أساس عنصري من التفرقة القائمة على أساس اللون والجنس والدين.

(٢) أصبح الإنسان غير الأوروبي محل هجوم ونقد اضطهاد وقد ظهرت هذه النزعة العنصرية مبكرة في نهاية القرن الثامن عشر.

(٣) ظهور ازدواجية المعايير.

▣ نظرة ختامية إلى مساوئ الحضارة الأوربية وفشلها في تحقيق السعادة من منطلق الرفاهية الجديد :

- وعلى أساس هذه الخلفية نرى أن الحضارة الأوروبية كانت في بدايتها حسنة النية داعية إلى التحرر من كل ما يقيد العقل والارتقاء بالفرد واحترام العلم والعقل.
- ولكنها لم تثبت على هذا المبدأ حينما تعاملت مع الشعوب الأخرى من منطلق القوة

والسيطرة والاهتمام بالذات وإهمال الآخر وحرمت على الشعوب الأخرى ما استحلته لنفسها.

- واستغلت وسائل التقدم الخاصة بها فى الهيمنة والسيطرة على الشعوب الضعيفة باسم الحرية والاستقلال والتقدمية.
- وإلى الآن مازالت نظرة الغرب للشعوب الأخرى قائمة على الحق المطلق فى التملك والسيطرة من منطلق القوة حيث يحكم الأقوى ويتملك، ومن الناحية الأخرى فإنها تحاول الاستخفاف بالدول الصغرى وتهميشها.
- ويظهر هذا بوضوح على مسرح الأحداث الدولي، ولم تعد الحضارة والحرية والتقدم سوى وسيلة لتحقيق مطالب الأقوى، ولم تعد كلمة حضارة تعنى العلم النافع والأخلاق الراقية بل هى سلاح رادع واقتصاد قوى.

بزوغ الحضارة الأوربية وأهدافها وتأثرها بالحضارة العربية فى الأندلس

- لقد كان تأثر الحضارة الغربية بالحضارة العربية فى الأندلس حقيقة واقعة لاينكرها إلا جاهل أو جاحد.
- حيث كانت الأندلس فى هذه العصور أشبه بالقبلة التى يتوجه إليها كل طالب علم ومن هذا المنطلق بدأت أوروبا توائم بين ما حصلت عليه من حضارة العرب وبين ما أبدعته بنفسها فى مجال الآلة والميكنة.
- ثم بدأت الخطوة التالية باستيعاب هذه العلوم والإضافة إليها ومن ثم نسبها لنفسها
- ثم بدأ تطور الميكنة والعلوم الطبيعية رويداً رويداً فى وقت بدأ يعم العالم فيه ظلام الجهل والتخلف وكان لزاماً على الدول التى بدأت هذه الخطوة أن تقوم بدورها فى تنوير باقى دول أوروبا

الحركة. البروتستانتية ودورها فى حضارة أوروبا :

- كان لبزوغ الحركة البروتستانتية دوره الفعال فى إصلاح بعض النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتى لم تكن تتواءم مع الطبيعة والفطرة مثل الزواج والعمل والربا.
- وكان لهذه الحركة الإصلاحية النقدية أثرها فى شيوع روح النقد لكل ما هو مقدس.

- وقـد ربطت الحضارة البروتستانتية الأوروبية بين العمل والدين حيث جعلت قيمة الدين تصب فى العمل، وكان هذا هو ما زاد حافز العمل عند البروتستانتيين.
- كانـت للبروتـستانتيين طبـيعة حـياة عملية وتحررية، وقد ربطوا بين العمل والعلم والعقل والدين.
- وقـد كان هذا مما ساهم بشكل فعال فى تطور العلوم الطبيعية فى أوروبا الغربية التى تنتهج البروتستانتية عنها فى أوروبا الشرقية الكاثوليكية.

معايير التقدم فى العصر الحديث (مزايا ومساوئ):

- إن المعايير الأوربية للتقدم فى العصر الحديث ارتبطت بازدهار العلم واحترام العقل وازدراء الأديـان فى تـناقض غـريب، حـيث إن الـدين الحـق يدعو لاحترام العقل والعلم.
- ومـن ثم كان للتقدم أثاره السلبية فى تحجيم دور الدين، وأصبحت الحياة هى كل ما يشغل الإنسان وأصبحت دور العبادة مجرد دور مناسبات لا أكثر.
- هـذا الاتجـاه ظهر بشكل مبالغ فيه فى روسيا والتى قامت فيها الثورة البلشفية والتى جعلت رفض الأديان وازدرائها عقيدة فى حد ذاتها وهى الشيوعية.

الحياة الفردية فى الحضارة الأوربية:

- عـاش الإنسان الأوربى على المستوى الفردى لأجل نفسه وأسرته فقط وانهارت القيم الأخلاقية تبعاً لذلك.
- لم يعـد هـناك ما يحمى الفرد وأسرته من وسائل الإغراء والانحلال وأصبحت مفاهيم الحـرية الفردية تعنى فى المقام الأول رفض تعاليم الدين وقيوده وأصبح للمعانى ظاهر وبـاطن ومن هنا انتشر الإلحاد فى دول كثيرة بزعم فضيلة العمل وأهميته، وكان من آثار ذلـك اخـتفاء دور رجـال الـدين وانتـشار العلمانـية ولكن فى ثوب يتعارض مع القيم ويحاربها.

العلمانية معناها الأصلى واستخدامها الحالى والهدف منها:

- العلمانية فى معناها الحقيقى هى احترام العلم والعقل والاحتكام إليهما.
- مع ازدياد الفجوة بين العقل والدين ظهر اتجاه إلحادى قوى ممثلاً فى الفكر الماركسى مع ازدياد الرغبة فى إنكار كل ما هو متعلق بالروح.

- ونتج عن ذلك قيام دولة عظمى هى روسيا - تمددت مكونة الاتحاد السوفيتى - تؤمن فقط بالمادة وتعمل لأجلها، وكان لتأثير هذا الفكر قيام صراع أيديولوجي، وكان صراعاً بين فلسفة العمل فى الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، وهذا الصراع كان يحتكم إلى نزعة سياسية تعبر عن رغبة كل طرف فى الوصول للتقدم والسيطرة بشكل سريع.
- وقد كان لهذا التباين الفكرى بين الكتلتين الشرقية والغربية والصراع بينهما الذى نتج عنه أكبر الأثر فى كثير من دول العالم، حيث انقسم العالم فكرياً بين الكتلتين مما حوله إلى طرفين متنازعين حتى تم انهيار الاتحاد السوفيتي.
- لم تكن الحضارة الأوروبية لتقوم لولا بعدها التام عن الأديان ولم يعد هناك بد من الاعتراف بذلك، وقد كان تأثير ذلك على حركة التاريخ الإنسانى بالغاً فى رفض كل الأديان التى لا تأخذ بنظرية الغرب وفلسفته المادية، وأصبح الإعلام الغربى يقسم العالم إلى أمم متقدمة وأخرى متخلفة، وبالتالى تم تقسيم الأديان إلى أديان متقدمة ومتخلفة، والمؤسف أن أبواق الدعاية الغربية لم تجد من يصحح لها تلك المفاهيم.
- لقد كان لسيطرة الغرب على الدول الأخرى أثره الكامل فى إسكات المعارضين والاعتقاد فى كل ما هو غربى من فلسفات وعلوم وأديان والفكرة السائدة من أن الديانة المتحضرة فى العالم هى الديانة التى تمثل الأمم المتحضرة الأوربية وهى الديانة التى تمثل الغرب.
- ومن هنا ظهرت الفرية التى ظل الغرب يرددها ويروج لها ردحاً طويلاً من الزمن من أن الأديان هى التى توصف بالتقدم ومتناسياً تماماً عصور الجهل والظلام التى غرقت فيها أوروبا حتى بداية نهضتها الحضارية.
- ونظراً لهيمنة أوروبا على كثير من بلدان العالم فقد ساهمت بسياستها الاستعمارية فى تغيير ومحو ما هو فى صالح الشعوب وإقرار ما هو فى مصلحتها، وبالتالى حجبت عن هذه الشعوب كل وسائل المعاونة على التقدم ونهبت ثرواتها لتظل هذه الشعوب على حالها من التخلف الحضاري.
- وكان لتخلف هذه الشعوب عن الأخذ بأسباب التقدم أثره فى تبعيتها السياسية والاقتصادية والثقافية.وفى النهاية أصبحت معايير التقدم والحضارة هى التى صممها الأوروبيون لأنفسهم وفرضوها على العالم كله من وجهة نظرهم دون النظر لاختلافات الشعوب الحضارية والثقافية.

الغرب و لعبة الأديان

هروب الإنسان الأوروبى من :

ثقافة الأديان إلى ثقافة الإنسان حيث الحرية المطلقة بمعناها الإيجابى والسلبى والاستقلالية والعلمانية.

- **ثقافة الأديان** - **ثقافة الإنسان**

- إلغاء مفهوم الأديان ليحل محله مفهوم الإنسانية وبالتالى لم يعد للأديان أدنى دور فى حياة الإنسان طالما أن الإنسان هو المنوط به تحقيق السعادة والرفاهية له وللآخرين، وكان التبرير الدينى والعقلى هو انتهاء حقبة الأديان وبزوغ عصر الإنسان، حيث رأوا أن الإنسان هو القائم مقام الإله فى مغالطة لعبارة الإنسان خليفة الله فى الأرض والتى تعنى فى الأساس أن يحل الإنسان كل قيم الخير التى أمر بها الله ويمنع كل أسباب الشر التى يمكن أن يجلبها بمخالفته لأوامر الله
- وهذا الفكر قد ثبت فشله على مر السنين حيث اندفع الغرب باسم الإنسانية وباسم حقوق الإنسان والحضارة فى إشباع غرائزهم ونهمهم المادى بإقامة المستعمرات واحتلال الدول وسخروا كل غال ورخيص لتحقيق هذا المفهوم، وساعدهم على ذلك تقدمهم العلمى وانهيار الثقافات القديمة وضعف إمكانيات الشعوب الضعيفة، بالإضافة إلى وجود جهاز إعلامى محنك قادر على تزييف الحقائق وقتما يشاء
- ومن هنا كان الغزو الثقافى هو الأداة الضرورية لقيام فكر الهيمنة على تلك الشعوب، حيث أوهموا الشعوب بالإحساس بالمسئولية تجاه البشر، ومن هذا المنطلق قامت فكرة الهيمنة الأوروبية على أساس تحقيق مبدأ حقوق الإنسان
- وكان الغزو الثقافى للشعوب الأخرى من قارات آسيا وإفريقيا هو الوسيلة الناجحة للإيمان بحضارة الغرب، وبالتالى بديانته، فقد كان الغرب أشبه مايكون بديانة جديدة ظهرت مع نهضته الصناعية، ومن هنا كانت الحركة البروتستانتية داعية إلى التجديد فى كل شيء بما يناسب مصالحها، وهى التى تزعمت غرب أوروبا وأمريكا فى حضارتهم المادية إلى الآن
- وظلت فكرة الاحتلال والهيمنة جزءًا من ثقافة الغرب الحديثة، ففى بداية النهضة الصناعية كانت مفاهيم الحضارة الجديدة تدعو إلى محو الأمية والجهل للشعوب

الأخرى فكان لزاماً على تلك الشعوب أن تخضع لإرادة الغرب الإمبريالى أملاً فى التقدم والمساعدة، ولكن الغرب كان يخفى فى طى سياساته رغبته فى جلب الثروات من تلك البلاد والتى كانت تغذى نمو حضارته المادية

- وظلت الشعوب المحتلة فى إفريقيا وأسيا مصدراً مدراً للمواد الخام الضرورية لإطالة أمد الحضارة الأوربية إلى أن قامت الثورات التحررية الداعية للاستقلال فى أسيا وإفريقيا والتى تكشفت الحقائق أمام شعوبها وأيقنت أنه لا مفر من الاعتماد على النفس وعدم تصديق الدعاية الأوربية التى تهدم ولا تبنى
- من هذا المنطلق كانت حضارة الغرب هى المهيمنة باسم حقوق الإنسان وحقوق الأقليات والإنسانية والحرية فى الواجهة تحت بريق الشمس ولكن فى باطنها كانت تخفى الرغبة فى البحث عن مصلحتها دون النظر لإيذاء هذه المصلحة للشعوب الأخرى
- كيف قامت حضارة الغرب الجديدة على الأسس التى ذكرناها سلفاً وهى الحرية المطلقة والعلمانية والاستقلالية ؟!
- وعلى هذا الأساس انطلق الغرب فى حريته وثوبه الجديد بعيداً عن قيود الدين ليحقق ذاته مستكشفاً آفاقًا جديدة وثقافات أخرى باحثاً عن الحقيقة متوهماً أنها ملكه وحده Truth is one
- ومن هنا كان نهمه للعلم والمعرفة وحب الحقيقة نابعاً عن خوائه الروحى الناجم عن حضارته الجديدة المادية، وانقسم الغربيون إلى من احترم الحقيقة منهم وأصبح منصفاً فى تعامله مع الشعوب الأخرى محترماً عقائدهم، ومنهم من سيطرت عليه النزعة العنصرية فعبر عن ازدرائه لمن هم أقل منه علماً وتقدم، وبالتالى أصبحت الدول فى تعاملها مع الدول الأخرى تقيسها وتميز بينها على أساس التقدم المادى التقنى، وقسمت الدول إلى:

١ - دول متقدمة　　٢ - دول نامية　　٣ - دول متخلفة

- وأصبح التعامل مع الشعوب بدرجات متفاوتة من الاحترام على هذه الأسس، ولا يمكن أن تكون هناك دول متقدمة دون أن يكون بها نهضة علمية ونظام متقدم من التعليم (دون نسبة أمية) بالتالى قامت العلاقات الدولية على أساس هذا التقسيم، ولا يمكن أن تكون هناك دولة ذات سيادة دون أن ترتكز على التفوق العسكرى (سلاح نووى)، وعلى هذا الأساس يكون لها القرار المسموع فى المحافل الدولية وهذا ما نراه الآن.

نظرة ختامية للحضارة الأوروبية

- ومن هنا يتبين لنا أن ما نادت به أوروبا فى مطلع القرن السابع عشر من شعارات كان لها ظاهر حضارى وباطن استعمارى وهذا مما يؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الحضارة الأوروبية المادية فشلت فى احتواء الإنسانية لقيامها على مبادئ نفعية تفرق بها بين الدول تبعاً لتقدمها وتأخرها فى ظل سياسات تنتهجها إلى يومنا هذا ولولا هذه السياسات ما قامت عنصرية على أسس عقائدية أو عرقية أو لونية مثلما هو الحال فى فلسطين وجنوب إفريقيا والبلقان، ونخلص من هذه المقدمة إلى أن الحضارة فى مفهومها العالمى لا تعنى التقدم التقنى والمادى فقط ولكنها تعنى :

١ - المساواة بين الشعوب دون تمييز على أساس اللون أو العرق أو العقيدة

٢ - التعارف والتعاون بين الشعوب لإقامة حضارة إنسانية راقية

- وهذه الجذور الحضارية التى نبتت فى عصور سابقة ساهمت بما لا يدع مجالاً للشك فى ارتقاء كل شعوب الدنيا وأكبر دليل على ذلك تأثير الثقافة العربية الإسلامية على أوروبا وثبات هذه المعارف والعلوم العربية فى دوائر المعارف الأوروبية إلى يومنا هذا سواء فى الكيمياء أو الرياضيات أو الطب أو فى الفلسفات والعقائد، وليس هناك إنسان منصف ينكر فضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا فى شتى المجالات

قصة نشأة حضارة اليابان

- كان لحضارة اليابان ظروف وملابسات تختلف عن مثيلاتها فى أوروبا وآسيا وإفريقيا
  - بداية العصر الحديث فى اليابان عام ١٨٦٨م
  - بداية العصر الحديث فى أوروبا ١٦٠٠م
- كانت بداية دخول اليابان للعصر الحديث متأخرةً جداً بالنسبة إلى أوروبا ولكى نتعرف على اليابان وعصرها الحديث لابد من إلقاء الضوء على الفترة التى سبقت انفتاح اليابان على العالم الخارجى والتى يطلق عليها تاريخياً اسم (عصر العزلة) Sakoku

- وأيضاً الفترة التى أعقبت عصر الانفتاح على العالم الخارجى والتى يطلق عليها (عصر الانفتاح) kaikoku

- وهذه الفترة التى عرفت باسم Sakoku لم يكن لليابان فيها أى علاقة بالعالم إلا من

خلال الصين والتى كانت بمثابة الأم للحضارة اليابانية والتى استقت منها اليابان كل علومها ومعارفها بداية بأسلوب المأكل والملبس والبناء والتشييد حتى اللغة المكتوبة . Kanji

- وقـد كانـت البعـثات الدراسـية تـوفد إلى الصين لدراسة العلوم والديانات مثل علم التنجـيم والتعالـيم الكونفوشيوسـية وكل أنواع الفلسفات والديانات الصينية بل إن البوذية الهندية دخلت إلى اليابان عن طريق الصين وقد نجح المجتمع اليابانى فى تحوير جميع العلوم والديانات التى تم استقدامها بما يتلاءم مع عادات اليابانيين وطباعهم.
- لقـد ظلـت الـيابان عـلى هـذه الحـال ردحـاً طـويلاً من الزمن مقفلة أبوابها على العالم الخارجـى فى عـصر طـويل امتد حوالى مائتين وستين عاماً، وعرفت هذه الفترة باسم عصر (طوكوجاوا) أو عصر إيدو
- ولقـد احتفظت اليابان فى خلال هذا العصر بكل ماتعلمته من الصين وطورت حياتها الـسياسية والاقتـصادية طـبقا للمعايـير اليابانـية والـصينية وعلى هذا الأساس ظلت الـيابان طيلة هذه المدة حبيسة أفكارها وتقاليدها وعاداتها فى عصر تقدمت فيه الميكنة وتغـير العـالم وهيمنت القوى الأوروبية على معظم دول آسيا وإفريقيا باستثناء اليابان والتـى أغلقـت أبـوابها عـلى العـالم الخارجـى لحكمة مردها الخوف من المساس بهيبة الإمبراطور وشرعيته إلى أن بدأت الأخبار تترامى إلى أسماع قادة اليابان بهزيمة الصين فى حرب الأفيون (١٨٤٢م).
- ولقـد كـان رد فعـل هـذه الأخـبار فى اليابان مخيباً لآمال المثقفين المتعصبين لانتماءاتهم الثقافية وأهمها توقير الصين وحضارتها وكان لهذا النبأ من ردود الأفعال على المستوى الـسياسى مـا زعزع الثقة فى النظام الحاكم وقدرته على حماية استقلال اليابان والدفاع عـن رمـوزها المـثلة فى الإمـبراطور وعائلـته، ولم يكن هناك بد من إعادة التفكير فى طـريقة الـتعامل مع المتغيرات الدولية والتهديدات لتى وصلت إلى مشارف العاصمة اليابانية.
- ولقـد تمـثلت هـذه الـتهديدات فى زيارة الأسطول الأمريكى بقيادة (الأدميرال بيريه) وطلـبه من السلطات اليابانية فتح الموانئ للأسطول الأمريكى للتزود بالوقود فطلبوا منه مهلة لمدة ستة أشهر للرد عليه فغادر الأسطول الأمريكى إلى الصين.

- بينما دار جدل واسع فى اليابان حول جدوى فتح أبواب اليابان على العالم الخارجى وأثر ذلك على القيم اليابانية، وكانت المخاوف من فتح أبواب اليابان على العالم الخارجى تنحصر فى :

  ١- الخوف من زعزعة الثقة فى النظام الإمبراطورى.

  ٢- كشف عورات اليابان أمام الدخيل الأجنبى أى كشف مظاهر التخلف الحضارى المختلفة فى اليابان

- وقد كان لزاماً على السلطات اليابانية فى ذلك الوقت أن تتعامل مع الواقع الخارجى بحكمة عالية للخوف من تعرض الاستقلال اليابانى للخطر
- وقد كانت هناك أسباب دفعت حكام اليابان إلى الرضوخ لمطالب الأسطول الأمريكى وقبول فتح موانىء اليابان للملاحة الدولية ولتزويد السفن بالوقود، وكان هذا هو الحب الأول بين اليابان والغرب
- كانت هذه السياسة هى المخرج الوحيد لليابان من حياة الفقر والجهل والمرض التى كانت سوف تنتج عن احتلال أمريكا لليابان، وقد بدأت تيارات الفكر اليابانى تنقسم بين مشجع ومعارض، وبين وصولى ومتمرد، ولكن رغم اختلافهم اتفقوا جميعاً على إعلاء مصلحة اليابان القومية فوق اختلافهم لحبهم الشديد لليابان.
- وحب الوطن عند اليابانيين ليس له حدود، وقد استمد جذوره من حب الأرض وما عليها وكل ماهو يابانى فى نظرهم يستحق التقديس.
- وقد عرف هذا العصر الجديد المصاحب لانفتاح اليابان على العالم باسم عصر (ميجى) وهى تعنى الحكم المستنير نسبة للإمبراطور (ميجى)
- وقد كان هذا العصر بداية انفتاح اليابان على أوروبا ومع فتح موانئ اليابان وظهور الإنسان الأوروبى الأبيض بدأ اهتمام اليابانيين بدراسة اللغات الأوروبية يزيد، وكانت الحاجة لوجود مترجمين فى الوكالات الدولية اليابانية التى تتعامل مع العنصر الأجنبى تعاملاً رسمياً، وكان لهذا الاحتكاك المباشر بين الأجانب واليابانيين أثره البالغ فى ازدياد اهتمام المثقفين الراغبين فى تعلم وفهم الثقافة الغربية وكانت هذه هى البداية الحقيقية للاتصال بثقافات الغرب.
- وقد كان لهؤلاء المترجمين الذين تعلموا اللغات الأوربية فى وقت لم يكن فيه لليابان أى

صلة بأوروبا وأخبارها إلا عن طريق الصين دوراً رائداً فى نقل الثقافة الغربية إلى اللغة اليابانية نقلاً حرفياً وبالتالى كان لهذا النقل الحرفى عن الغرب جوانب سلبية تؤكد عدم فهم اليابان لحقيقة مايدور فى العالم.

- وقد بدأت الحكومة اليابانية فى تغيير سياستها الخارجية بما يتفق ومصلحتها الوطنية ممثلاً فى إرسال وفد حكومى يابانى إلى أوربا للتعرف على حضارة الغرب، وكان لهذه الزيارة أثر قوى فى تغيير سياسة اليابان واهتماماتها بالعلاقات مع أوربا، وقد كانت هذه البعثة برئاسة تاكاكورا وهو رئيس وزراء اليابان آن ذاك.

رحلة بناء الحضارة

- لقد بدأت اليابان فقيرة فى مواردها الطبيعية وفى مستواها الحضارى، وهما شرطان لازمان لقيام أية حضارة حديثة فالحضارة الحديثة قامت على الموارد الطبيعية والعلم.
- ونظراً لأنها كانت تفتقر إلى كلاهما فقد كان لزاماً على الحكومة فى عصر ميجى أن تنتهج سياسة خارجية مرنة وحكيمة تقوم على أسس قوية لكى تحقق أهدافها الوطنية وأهمها هو المحافظة على استقلال اليابان وعدم وقوعها تحت براثن الاحتلال الغربى.
- وعلى هذه الأسس انطلقت اليابان لتبنى دولة حديثة على نسق غربى ورفعت شعارات قومية أهمها:

(١)الحضارة والتنوير :
(٢)إثراء الدولة وتقوية الجيش :
(٣)علم غربى وروح يابانية

- ولقد كان لهذه الشعارات أثر بالغ فى إلهاب حماس اليابانيين واتجاههم نحو العصر الجديد يؤازرهم فى ذلك حب الوطن (Aikokushin) وحب الإمبراطور وهو الرمز المقدس على المستوى الروحى والقومى وعلى المستوى السياسى والعقائدى.
- والإمبراطور من وجهة نظر اليابانيين هو سليل الآلهة المتنقلين، ومن هذا المنطلق توحدت الأمة اليابانية تحت شعار الإمبراطور الإله والحاكم فى آن واحد، ولقد كان لهذا الاعتقاد الأسطورى عند اليابانيين مغزى عميق فى وحدة اليابان الروحية والشعورية والوطنية.
- ومن هذا التوحد النوعى والعقائدى كانت اليابان نموذجاً مثاليا غير مسبوق فى تاريخ

الإنسانية، حيث الطاعة العمياء والولاء التام والانتماء والثقة المتبادلة، وقد كان لهذا أثره الفعال فى إنجاز المهام الوطنية التى رفعتها حكومة اليابان فى عصر ميجى، فالكل يعمل حباً فى اليابان وحرصاً على مصلحتها وطاعة للإمبراطور الذى هو ولى نعمتهم.

- ونظراً لأن عقيدة العمل عند اليابانيين استمدت شرعيتها من تلك القيم الروحية الراسخة فى وجدان كل يابانى، فقد كان لذلك أثره البالغ فى سرعة إنشاء حضارتهم الجديدة فلايمكن مقارنة حضارة اليابان الحديثة ومثيلتها فى أوروبا من خلال عامل الزمن، حيث قامت حضارة اليابان خلال ستين عاماً فى عصر ميجى.
- ولكن لكل حضارة مثالبها فالإنسان هو الذى يحكم هذه الحضارة بعقله وأهوائه وعواطفه.
- ومما يؤخذ على الحضارات الحديثة أنها ركزت قوة الإنسان فى عقله وتجاهلت القيم الروحية واستخفت بها، فكان لزاماً على البشرية أن تدفع ثمن الغرور الناجم عن التفوق فى مجال الميكنة والعلم، فقامت حربين عالميتين كبريين أدتا إلى خسائر بشرية ودمار إنسانى لا مثيل له.
- أما اليابان فرغم أنها قد حققت نموذجاً غربياً فى آسيا فى حقبة زمنية قصيرة وأصبحت أشبه مايكون بنجم منير فى سماء حالكة حيث كانت آسيا تعانى من تخلف حضارى وروحى لا مثيل له فى أى مكان، هذا التخلف الحضارى كان يقف وراءه عادات الشعوب وخرافاتهم فى الحياة وفى الممات، كان يعوق مسيرة التقدم الحضارى، إلا أن اليابان اختارت النموذج الذى يناسبها عند بناء مدنيتها الحديثة.
- فقد كان على رجال الحكم فى ذلك الوقت أن يفاضلوا بين الاستقلال التام أو التبعية للغرب تحت سيف الاحتلال، فاختاروا الاستقلال والتعامل مع الغرب بمنطق التابع والمتعلم، فقد أيقن ساسة اليابان بمدى ضعفهم وتخلفهم بالمقارنة بقوة الغرب وكان لزاماً عليهم أن يتعاملوا مع القضية بواقعية، والأخذ بالأسباب التى تعينهم على التقدم والخروج من وهدة التخلف الحضارى، فلم يجدوا سوى إصلاح نظام التعليم المبنى على الفكر الصينى الكونفوشيوسى (Kangaku)
- أما العلوم التطبيقية فلم يكن يتعلمها سوى الحرفيين أو القلة من الصفوة ومن هذه الظروف والأوضاع المتردية بدأ المثقفون فى الانقسام إلى فريقين.

- كان الفريق الأول يدعو إلى دراسة علوم الغرب وحضارتهم وينتقد أحوال اليابان وتخلفها أمام أساطيل الغرب، والفريق الآخر يدافع عن القيم الكونفوشيوسية الراسخة فى أعماق الشعب اليابانى ويخشى من انهيار هذه القيم ويدعو إلى طرد البرابرة الأجانب والتمسك بطريق الإمبراطور، وكان الفريقان يعبران عن آرائهما من خلال الصحف والمجلات الثقافية فى ذلك الوقت، وأهمها مجلة السادس من ميجى (Meiroku-Zasshi) التى كان يكتب فيها مثقفو اليابان.
- وكانوا يعبرون عن حيرة اليابان وقلقها فى ذلك الوقت وإحساسها بالتخلف أمام قوة الغرب، وكان لهذه المجلة دور بارز فى التعريف بحضارة الغرب وتنمية الوعى الثقافى والتعليمى فى آن واحد، وكان المنتمون لهذه المدرسة يطلق عليهم أنصار المدرسة الغربية (Yogaku-Sha) أما الفريق الذى ينتمى إلى الكونفوشيوسية ويدافع عنها كان يعرف باسم أنصار المدرسة القومية (Kokugaku-Sha) ولكن رغم اختلافهم فقد كانوا جميعاً يعملون من أجل المصلحة الوطنية.
- وقد كان لهذا الانقسام دوره فى إثراء روح العمل والبحث عن أفضل السبل لتقوية اليابان ونهضتها.
- وكان لهذا النمط من الخلاف دور مهم فى زيادة الانتماء لليابان، وكان الدفاع عن القيم أهم القضايا التى ثارت فى عصر ميجى فى مجتمع مغلق له تقاليد موروثة وأخلاق تعبر عن الرفض للتغيير، إلى أن هبت رياح التغيير الاضطرارية وحتمت عليهم التعامل مع المتغيرات الجديدة بعقل متفتح دون التضحية بما هو كائن.

الظروف والدوافع النفسية التى كانت وراء نجاح اليابان فى الدخول فى زمرة الأمم المتقدمة

لقد كان هناك الكثير من الدوافع النفسية التى وقفت وراء نجاح اليابان فى التغلب على عوامل الضعف والتخلف والفقر ومن أهمها على الإطلاق **عامل الخوف من الوقوع تحت الهيمنة الغربية** وهى التى لم يسبق لها التعرض لأى غزو خارجى أو احتلال أجنبى حيث أحاطت بها ظروف جغرافية وسياسية منعت وقوعها تحت أى احتلال أجنبى :

١ - فقد كانت مجموعة من الجزر المتناثرة التى تقع فى المحيط الهادى مما جعل الوصول إليها بغير السفن أمراً مستحيلاً، ناهيك عن أنها تظهر كجزر غير مأهولة عند النظر إليها من السفن التى تسير فى البحر، ومن هنا جاء اسم اليابان القديم (Wakoku) والذى تحول إلى الاسم الحديث (Nippon) والذى يعنى الشمس المشرقة.

٢ - بالإضافة إلى العزلة اليابانية المفروضة على اليابان ممثلة فى الانغلاق (Sakoku) الذى استمر حوالى ٢٦٠ عاماً ولم تكن هناك علاقات بين اليابان والدول الأخرى سوى علاقتها بالصين والتى كانت تمثل مركز الإشعاع الحضارى والاقتصادى فى المنطقة والتى استقت منها اليابان حضارتها، بالإضافة إلى بعض العلاقات التجارية بينها وبين الصين والهند.

كان من الظروف المحلية التى أحاطت بدخول اليابان عصر الانفتاح والنهضة :

١ - الخوف من الاحتلال عند قدوم الأسطول الأمريكى.

٢ - قلة خبرة اليابانيين فى التعامل مع الغرب جعلتهم فى حذر دائم من الوقوع فى أخطاء سياسية قد ينتج عنها فقدانهم لاستقلالهم.

٣ - وأيضا عدم وقوع اليابان تحت أى حكم أجنبى جعل اعتزاز اليابانيين بقوميتهم حداً يفوق العقل، وقد أدى هذا إلى تعاملهم مع الواقع بشىء من الحذر.

بناءً على هذه الظروف الدولية التى أحاطت باليابان وأدت إلى فتح أبوابها على العالم الأوروبى والغربى فإن الإحساس بالنقص تجاه كل ماهو غربى وأوربى كان واضحاً فى سياسة اليابان، وقد وجهها هذا إلى نقل كل ما يتعلق بالحضارة الغربية بدءًا من النظم السياسية وأسباب نهضة الصناعة والتعليم، مما ساعد بدوره فى سرعة نقل المعارف الغربية إلى

اليابان، وبالتالى تطور التعليم على أسس غربية كان له دوره فى تطور الصناعه والميكنة، وبقيت اللغة والدين فى ركن صغير يمثلان عائقاً حضارياً أمام اليابان إلى يومنا هذا.

أما الدين فظل شكلياً لايخدم فى تطوير الإنسان العصرى وأصبح مجرد طقوس شكلية مستخدمة فى اليابان وظل يمثل مشكلة أمام اليابان خاصة أن الغرب قد اعتبر أن الدول التى لاتدين بديانته دول متخلفة، وظلت الدعاية الغربية تستخدم هذا السلاح للتقليل من شأن الديانات الأخرى سواء كانت متقدمة أو متخلفة، حيث كان التقدم والتأخر فى نظر الغرب هو إما أن يسير الإنسان على نهجهم وبهذا يكون قد حقق التقدم أو يصبح متخلفاً، وظل المستشرقون الغربيون يقيمون نظريتهم فى الفلسفة والدين على أسس من التحيز العنصرى.

ولكن استطاعت اليابان أن تثبت أن التقدم لايمكن أن يكون وليداً لعقيدة معينة ولكنه وليد الأخذ بأسباب التقدم من تعليم ومعرفة.

وقد انهمكت اليابان فى تطوير ذاتها بحكمة عالية وذكاء منقطع النظير وخابت توقعات الغرب فى خضوع اليابان وتبعيتها حيث سارت اليابان فى اتجاهين متوازيين :

أولاً : إصلاح النظم السياسية والاقتصادية بما يتماشى مع لغة العصر.

ثانياً : تطوير ما لديها من نظم تقليدية دون التفريط فيها.

وقد أخذت اليابان بأسباب الحضارة الغربية العلمية والاقتصادية والسياسية مع الاحتفاظ بما لديها من تراث وحضارة والحفاظ عليهما.

فلقد ظلت الصناعات التقليدية القديمة محل اهتمام من الحكومات على التوالى واحتفظ اليابانيون بطريقة معيشتهم التقليدية من مأكل وملبس وأقاموا طقوسهم واحتفالاتهم الدينية بشكل ينم عن الاحترام والاعتزاز بكل ماهو قديم وتطوير الشكل بحيث يناسب العصر، وانطلاقاً من هذه العقلية احتفظت اليابان بتراثها الروحى تطبيقا لشعارها علوم غربية وروح يابانية (Washin Yosai) واندفع اليابانيون فى تعلم كل ماهو غربى نافع كل فى مجاله دون التفريط فى حياتهم الخاصة، ونهلوا من المعارف الغربية كالمتعطش إلى الماء يعبه عباً، ونظراً لشعورهم بأن حضارة الغرب المادية هى حضارة فعلية، فرأوا أنه يجب عليهم الوصول لنفس المستوى، وظلوا فى سباق مع الزمن وساعدهم على ذلك انهماك الغرب فى حروبه التوسعية دون أن يشعر بوجود منافس له، ومن هنا لعبت الشخصية اليابانية دوراً فعلياً فى تسهيل حصول اليابان على العلوم الغربية دون أن يستشعر الغرب الخطر من هذه الحضارة الناشئة،

حيث لعبت الأخلاق الكونفوشيوسية والتقاليد اليابانية التى تربت فى البيئة اليابانية دوراً فى قبول الغرب لليابان دون إحساس بخطرها، فقد ظلت اليابان على مدى عقود طويلة لغزاً محيراً بالنسبة للمثقف الغربى، ومن هنا جاءت التسمية للشخصية اليابانية المتفردة (Yunik) التميز والغرابة والتفرد.

وقد بحث الغرب فى جوانب الشخصية اليابانية والنظام الاجتماعى والأخلاقى فجاءت نتيجة هذه الدراسة الانبهار بالروح اليابانية، والذى كان أحد أسباب استعداد الغرب لتسهيل حصول اليابان على المعرفة الغربية. وقد كان للتقاليد اليابانية الراسخة دور فعال فى تشجيع التعليم ولم يكن هناك ما يمنع من تطوير البيئة اليابانية بما يتناسب وحاجات اليابان.

كان حب الطبيعة عند اليابانيين وتقديسها اتباعاً للتقاليد البوذية بمثابة الدين، حيث اعتبر اليابانيون أن كل ماهو ذو روح داخل بيئتهم اليابانية يستحق التقديس ويمكن أن يطلق عليه إله (Kami) لذلك حافظ اليابانيون على بيئتهم الطبيعية لاعتقادهم بوجود أرواح مقدسة تحميهم من الشرور وتجلب لهم النفع والسعادة، من هذا المنطلق ظلت العقائد اليابانية الموروثة القديمة على حالها دون تغيير، وحافظ اليابانيون على بيئتهم الجميلة لإيمانهم بها.

الإمبراطور وتأثيره فى الفكر اليابانى

الإمبراطور هو رمز الأمة وممثل الآلهة فى الدنيا، قد نتج هذا الفكر عن كتاب الأساطير اليابانى الشهير المعروف باسم كوجيكى (Kojiki) وقد استوحيت هذه المعانى والصور من هذا الكتاب الذى يصور قصة خلق اليابان وميلاد الآلهة التى لابد وأن تلتقى نسباً وعرقاً بعائلة الإمبراطور.

رأى اليابانيون على مر الأجيال أن الإمبراطور هو الوريث الشرعى للآلهة وهو الحاكم المؤله على مدى قرون طويلة إلى أن هزمت اليابان فى الحرب العالمية الثانية وتم تعديل الدستور اليابانى وطمس هذه الفقرة التى تنص على ألوهية الإمبراطور، وأصبح الإمبراطور فى حكم الدستور، مالك وحاكم البلاد كإنسان عادى له ما لهم وعليه ما عليهم ولم يعد له علاقة بالسياسة.

- لكن هل انتهت صورة الإمبراطور المؤلهة كلية من فكر اليابانيين ؟!!

كلا بل ظلت هذه الصورة الرمزية للإمبراطور محل تقدير وتقديس واحترام الشعب اليابانى على اختلاف طبقاته وأصبح هو المرجع الروحى والعاطفى لكل مناسبة قومية فى اليابان.

وانتهت أسطورة اليابان العسكرية بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية بعد أن ارتكبت الكثير من المآسى فى حق الدول الآسيوية، وأصبحت اليابان تابعة للحكم الأمريكى سياسياً وعسكرياً.

ولكن الروح اليابانية المؤمنة بوجودها وتفوقها لم تمت، فانتهزت اليابان فرصة الحرية الاقتصادية التى يسمح بها الغرب لتدخل مجال المنافسة التجارية وتحتل المركز الأول بين الدول المتقدمة وتصبح المنافس الحقيقى للغرب فى آسيا، ولكن تحت سمع وبصر الحلفاء، ولم يعد لليابان قوة عسكرية تهدد جيرانها الآسيوين أو الأوروبيين.

إلا أن شعلة الروح اليابانية لم تنطفئ ووجد اليابانيون أنفسهم فى منافسة علمية وتكنولوجية، وازدهر الاقتصاد اليابانى لتصبح اليابان المصدر الأول للتكنولوجيا فى العالم، وتمد أمريكا بما تحتاجه من أنواع التكنولوجيا المتقدمة سواء العسكرية أو الفضائية أو الإلكترونية، وبهذا دخلت اليابان إلى حلبة المنافسة الاقتصادية وأثبتت وجودها كقوة اقتصادية عظمى، واستخدمت كل ما هو متاح من قوانين التجارة الحرة ونجحت فى اختراق الأسواق، الأوروبية والآسيوية والإفريقية لتحقق أعلى معدلات الربح المادى والهيمنة على الأسواق ولتصبح الشريك المنافس الوحيد لأمريكا وأوروبا، ولم يعد للغرب مفر من الاعتراف بقوة اليابان الاقتصادية والعلمية، والتفوق النوعى للجنس اليابانى الذى لايقل ارتقاءً عن الجنس الأوروبى، أثبتت اليابان للعالم أنها قوة لا يستهان بها واعترف العدو قبل الصديق بقوة اليابان وهيمنتها على العالم لتسترد كرامتها وتعلن انتصارها على الغرب فى معركة البناء.

ولكن هذا الإحساس بالتقديس لإمبراطورها جعل اليابان من وجهة نظر الغرب دولة متطرفة تحكمها تقاليد وعقائد تجعل منها دولة رافضة للتعامل مع الغرب طبقاً لمعايير الغرب.أى دولة قومية متطرفة Ultra nationalism

نظام التفكير عند اليابانيين

لماذا لم تتجاوب اليابان مع المفاهيم الغربية بالسرعة المطلوبة ؟

هذا يرجع فى المقام الأول إلى نظام التفكير والاعتقاد وفلسفة الحياة التى تحكم كل منطقة، فاليابان تقع فى أقصى شرق آسيا وهى واقعة تحت تأثير الثقافة الصينية ممثلة فى الفضائل الكونفوشيوسية التى تحكم علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتلك الفضائل

الأخلاقية جعلت علاقة الأفراد بالحكام علاقة أخلاقية توجب الطاعة العمياء والولاء المطلق لمن يعلو أو يحكم بغض النظر عن معانى الحقوق الفردية أو المساواة والعدل التى تحكم ثقافة الغرب.

الفضائل الخمس (Gokyo)

وتضم خمسة معايير أخلاقية تعبر عن القيم الاجتماعية والسياسية بين أفراد الشعب وهى:

١- العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى مجال السياسة.

٢- العلاقة بين القائد والجندى فى ساحات الحرب.

٣- العلاقة بين المعلم والتلميذ فى مجال العلم.

٤- العلاقة بين الزوج والزوجة فى مجال الأسرة.

٥- العلاقة بين الأب والابن فى مجال الأسرة.

وتلك الفضائل هى التى حكمت الصين منذ فجر التاريخ أو منذ مولد كونفوشيوس، إلى أن دخلت الصين الحقبة الشيوعية، وتأثرت اليابان بأفكار كونفوشيوس وتلاميذه حينما نقلت هذه الفلسفة، وكان لهذه الفلسفة الفضل فى استطاعة حكام اليابان السيطرة التامة.

- حيث إن الأصل فى الكونفوشيوسية هو الحكم باسم الأخلاق، وهذه المعايير الأخلاقية هى التى حكمت المجتمع اليابانى على مدى قرنين من الزمان ليتربى اليابانيون على الطاعة والولاء والإخلاص لمن يعلوهم فى المقام، ففى مجال السياسة نجد الشعب مدين بالولاء لحكامه، وفى مجال العلم يدين التلميذ لمعلمه، والزوجة مدينة بالولاء والإخلاص للزوج، ولقد تولدت هذه التبعية نتيجة للأخلاق اليابانية، وظلت هذه القيم تحكم المجتمع اليابانى فترة طويلة من الزمن حتى فتحت اليابان أبوابها على العالم الخارجى وتخلت عن النظام الأخلاقى الكونفوشيوسى ليحل محله نظام التفكير الغربى فى مجال السياسة والاقتصاد، ولكن فى نظام المجتمع حافظت اليابان على ما لديها من قيم أخلاقية وتمسكت بها إلى يومنا هذا لتصبح اليابان عبارة عن نظام غربى رأسمالى ممثلاً فى السياسات الاقتصادية والتعليم ونظام أخلاقى يابانى ممثلاً فى التقاليد والقيم، وخلق هذا نوعاً من الازدواج فى المعايير خدم قضية التقدم اليابانية بشكل مثير للعجب، فالروح اليابانية ممثلة فى الأخلاق هى التى حافظت على تماسك الأمة، وظل المجتمع اليابانى متماسكاً رغم تقدمه الاقتصادى تحكمه قيم الماضى وضرورات الحاضر، ولولا ذلك ما استطاعت اليابان أن تصل إلى ماوصلت إليه من قوة وحضارة.

البوشيدو

البوشيدو (روح اليابان)

من الدراسات التى حظيت باهتمام الدارسين الأجانب نجد موضوع "**البوشيدو**" كنظام أخلاقى.

إن نظرة خاطفة على تلك الأحداث تعطينا كماً هائلاً من المرارة والمعاناة التى واجهت مفكرى هذه الأمة الجزرية ومثقفيها. فلقد كان هناك نوع من الاعتقاد لدى تلك الطائفة بأن اليابان أو (**دولة ياماتو**) محفوفة بعناية الآلهة وأن تلك الآلهة كافية لحفظ دولتهم وتبعاً لذلك فإن الولاء لتلك الدولة وعظمائها يعنى منتهى رضى الآلهة. وفوجئت اليابان بوجود عصر جديد تسيطر عليه الميكنة والآلة، وأن باب الخرافات ممنوع وغير مسموح به.

نعم ساد وجوم وغيرة على روح اليابان التى تربى عليها هذا الجيل من اليابانيين، وهو جيل عصر ميجى – نسبة للإمبراطور ميجى – لقد سادت الأفكار الكنفوشيوسية بكل ما تعنى من الولاء والطاعة لرجال السياسة، والاحترام والتقديس لأهل العلم وبالطبع هم أصحاب المدرسة الكنفوشيوسية ولا غير.

ومع انبعاث روح العلم الحديث وما نجم عنه من ظهور أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) فقد خفت حدة التعصب لأنصار الفكر الكنفوشيوسى المعروفة باسم (كانجاكو) وبين أصحاب هاتين المدرستين تولدت نظريتان فى الفكر اليابانى الحديث إحداهما تؤيد النظرية الحديثة فى العلم ولكن من خلال أراء كنفوشيوس أو تلاميذه، والأخرى ترى نقد ذلك والخروج عن المدرسة الكنفوشيوسية، واحترام روح العلم الحديث القادم من أوروبا والغرب. نعم كان هناك أشبه باستحالة التوفيق بين أصحاب هاتين المدرستين، وساد عداء وكراهية بين تلامذة وأساتذة هاتين المدرستين أدى ذلك بدوره إلى خلق نوع من الصراع بين المثقفين والمتعلمين ترك أثراً واضحاً فى علاقاتهم العلمية والعملية.

نعم هناك انبهار بكل ما هو جديد ورغبة فى فهم ذلك وإتقانه، لكن هناك خوف من نسيان روح الماضى بكل ما تحمل من حب وولاء غير مفهوم. حقاً إنه حب البقاء على تراث الماضى وإن لم يكن هناك نفع من وراء ذلك أو تقدم فى أساليب الحياة العصرية. نعم يأتى على إنسان حين من الدهر يكره التغيير ولو إلى الأفضل، لأن ذلك يكلفه أحياناً كرامته وكبرياءه اللذين يحافظ عليهما دائماً.

إن مـراحل التحول فى حياة الشعوب دائماً ما تمر بمعاناة لا حد لها، فإن الألفة والاعتياد تحـولان دون السـرعة فى الـتحول إلى الأحـسن، وقـد لا يكـون الـتحول معـناه التحول إلى الأحسن ولكن على أى حال كان التحول ضريبة تفرضها الأقدار على الشعوب والأفراد.

إن الحـديث عـن مجـتمع البوشيدو (الساموارى) من خلال كتاب (البوشيدو) لـ أنازوا نيتوبيه (١٨٦٢-١٩٩٣) يعطينا إيحاء بأن المؤلف يريد أن يضفى هالة من القدسية النرجسية على مجتمع الساموراى الذى ينتمى بالطبع إلى أجياله.

لقـد كانـت تقالـيد البوشيدو تُفرض على حياة المثقفين اليابانيين حتى فى تجوالهم خارج الـيابان. نعم فالسيف والزى التقليدى لرجال الساموراى كانا من أهم ما يعتز به الرجل ولا يقبل التنازل عنهما.

نعـم قـد لا يـسمع المثقف العادى عن الفروسية بمعناها المدتى وذلك لأنها لا تتمخض عن بطولة مرئية وواقعية. ولكن المؤلف نيتوبيه يستعرض معنا فى كتابه تلك الروح الباقية من فروسية أجداده التى ظلت تحمى جزر دولتهم وتهيمن على زمام الأمور.

إن روح الفروسـية التـى تـناولها المؤلـف فى كـتابه من النوع الذى لا تضاهيه كلمة ولا يستسيغه دارس، إنها روح اليابان التى يفهمها فقط أبناء اليابان.

لعلنـى أردت مـن هـذه المقدمـة أن أعـرف القـارئ العربـى بشىء لم يعهده من التاريخ الإنـسانى فقـد أضـاف تعليقـى بعـض الخلفيات التاريخية والثقافية عن نمط فريد من أنماط الفكـر الإنسانى غير المدون. نعم لقد حرص اليابانيون – شأنهم فى ذلك شأن أبناء الشرق – على جعل ذلك سراً من الأسرار حتى لا تفنى روح هذا العلم ولو فنى رجاله.

تعجبـت كثـيراً مـن حـب العزلة وشعار التدين عند اليابانيين إنه حب من أجل اليابان، وتـدين لا يـدين سـوى بروح الانتماء إلى أرض وجنس اليابان. إنه حب لا يختلف عليه اثنان لأنهـم لا يحـبون الاخـتلاف ويمـيلون إلى الائتلاف وعدم التصادم بالرأى... نعم أنها روح اليابان.

ومـن ثـم المعانـى التـى تمـثل قـيمة مطلقة أو قيمة نسبية لأبناء ذلك العصر. ونظراً لأن موضـوع المؤلـف هـو (صراع القـيم بين القديم والجديد)، فإن القارئ العربى قد لا يستوفى حظه من الفهم لمجرد قراءة ترجمة (البوشيدو) الحالية.

وسأحاول فى هذه السطور إضفاء مزيد من الضوء على الجوانب التى أغفلها المؤلف وبالتالى غمضت على القارئ أيضاً مما جعل الفهم لا يسير فى سلاسة وروية.

ومن أهم تلك الجوانب نجد الجانب التاريخى فى فلسفة البوشيدو ولعل ذلك يحتاج إلى معرفة تاريخ ظهور تلك الطائفة وكذلك التطورات التى طرأت على أسلوبهم فى الحياة ثم أخيراً مدى فهم المؤلف لتلك التطورات.. ولعلنى فى حل من التحدث عن نشأة البوشيدو الأولى وذلك لأنه يستغرق منى مئات من الصفحات، وسأكتفى بعرض وتحليل القيم الخالدة التى أرستها البوشيدو وغزت روح اليابانيين بها مما جعل المؤلف يشيد بمحياهم فضلاً عن مماتهم.

وربما اليابان – دولة ياماتو – هى من الدول النادرة فى قلب آسيا التى حظيت باهتمام الدارسين الأجانب واستولت على رغبتهم وذلك لأن كثيراً من الآثار والطلاسم التى أضفاها حكام تلك البلاد عليها جعل فهم حقائق التاريخ من الصعوبة، بل ومن المرارة أيضاً.. فكثيراً ما تكون اللغة عائقاً صلداً يحول دون فهم ذلك، وبالتالى يعمى على الدارس التغلغل فى كنه الفكرة، أو حتى العلاقة بين الإنسان وتلك الفكرة.. كذلك نجد أن عدم خضوع اليابان لقانون سماوى واحد يهتدى به أبناؤها جعل دراسة الواقع فقط شيئا مملاً وغير مجدٍ... فالماضى هو زخر كل أمة ونبضها السارى إذ لا مفر من طرق أبواب الماضى ومحاولة فتح ملفات التاريخ للتعرف على طبيعة تلك الأمة الجزريه التى لا يبدو لأول وهلة أن هناك تباينا فى طريقة حياتهم وأنماط سلوكهم... ولكن ما هى إلا لحظات حتى ينكشف المخبوء وتدرك بنور العقل أن هناك ستاراً كثيفاً من التعتيم على حقائق تاريخية أو التستر حتى لا يصطدم المهتمون بحقيقة تلك الأمة.

ومن أهم القضايا التى تثير اهتمام الدارس لثقافة اليابان علاقة الماضى بالحاضر، كذلك المفاهيم التى سيطرت على فكر قادة اليابان ورجال فكرهم كى يسطروا أساطيرهم ويؤلهوا إمبراطورهم وأسرته... أن تتبع تلك القضايا ومحاولة فهمها سيعطى للقارئ فرصة ثمينة كى يتعرف على البوشيدو من أبوابها وليس كما يروق للمؤلف أن يسطر.

١ - البوشيدو فى ضمير اليابانيين

إن البوشيدو التى تمخضت عنها تلك الدراسات ليست هى روح القتال الفانى لأجل القيم الخالدة أو النزاهة المطلقة التى تخلد صاحبها، ولكنها روح البقاء على الود مع سلاطين

هـذه الأمـة (العلاقـة بـين السيد والمسود – الإمبراطور ورعاياه) ومعانى الود هى الرضا بما يـرضى الـسيد المـصون حتى ولو كان ذلك فيه قسوة وغلظة على النفس ... فالطاعة العمياء هى الشرط المسبق للدخول فى زمرة رجال البوشى وإلا الطرد وقطع لقمة العيش بل وتشريد الأسرة والأبناء.. فالشرف كل الشرف فى مراعاة تلك الفضيلة وإثباتها فى الواقع وعلى أرض القـتال إذا استدعى الأمر ذلك.. ونظراً لأن الطاعة العمياء تضفى انسجاماً عاطفياً واندماجاً روحـياً بـين رجـل البوشـى وسـيده فإنـنا نجد عجباً بالغاً من اعتبار تلك النقطة هى القيمة المطلقة التى لا يفوقها أى قيمة أخرى.

وقـد أوجـبت تلـك الفـضيلة (الطاعـة العمياء) حسناً من الجوار وروح الخدمة الفانية لأجل راحة السيد أو ولى النعمة عليه.. وبالتالى ضمان حياة مستقرة فى ظل الأمان الذى توفره تلك العلاقة ومن هنا فإن رجل البوشى قد استمد بقاءه من رضا السيد الذى يطعمه ويسقيه، وأن واجـبه فقـط هـو الـدفاع عـن مـصالح سيده وأوامره وبالتالى نوال رضاه.. وربما كانت الصراعات على مناطق النفوذ قبل توحيد السلطة على يد رجال الباكفو (الحكومة العسكرية) كانـت هى إحدى الركائز التى أنجبت طائفة البوشيدو وجعلت لوجودهم أهمية قصوى... ومـن البديهـى أن يلـتف الـناس حـول البوشـيدو لاعـتقادهم فى صدق أحدوثتهم وارتقاء نفوسهم.. فلم يكن هم البوشى سوى الدفاع عن الهدف الذى من أجله وجد، وليس السعى وراء الكـسب أو الـسير وراء نزوات طارئة، فالرجولة التى هى رمز الجمال عند هذه الطائفة تحـتم عليه سموا فى الخلق ونزاهة فى المقصد فهم لا يكترثون سوى بالزهد فى المطالب اليومية والصبر على كل غلظة، وعدم الشكوى للغير وانتظار الفرج من فضل سيده.

هكـذا اسـتمرت تلك الروح ردحاً من الزمن قل ذلك أو طال، حتى هبت رياح التغيير عـلى دولـة ياماتـو فى عصر ميجى (١٨٦٨-١٩١١) محملة بقيم جديدة لم يكن يتوقعها أبناء طائفـة البوشى. أنها قيم مادية تهدم كل ما كان سائداً فى عصر إيدو السابق على عصر ميجى، بـل وتدمـر الوجـود الأخلاقـى لمجـتمع الـساموراى والذى أسس مدرسته على أساس من الرفض للنزعات المادية والتغلغل فى معانى الخلود التى تكمن فى طبيعة اليابان.

أنهـا معانى الانسجام مع الطبيعة والتقرب إليها طمعاً فى خيرها وبعداً عن غضبها.. إن الانـسجام والتآلف بين الضعيف والقوى لا يتم بسوى الاعتراف بحق القوى لأجل البقاء. فقـد كانـت لـتجارب الأجـيال الـسابقة أهمـية وأحدوثة جميلة عند أبناء هذا الشعب فهم لا

يكفـون عـن الاعتـزاز بمعانـى القـوة التـى كـان يحملها أجدادهم، ولكنهم فى نفس الوقت يـتعلمون مـن تجـارب التاريخ أن الصراع بالقوة لم يجلب لهم سوى الشقاء والعداء لبعضهم البعض.

ومـن هـنا فـإن القـيم الخالدة لأمتهم تحتم عليهم الإصغاء لأولى الأمر بالطاعة والولاء للعرف وعدم الخوض فى الجدل العقيم ومسايرة الواقع منعاً للصدام.

إن عـصراً جديـداً يتـسم بالجديـة فى الـسعى والبعد عن الخيال قد بدأ يفرض نفسه على الـيابان فى مطلـع القـرن التاسع عشر حين وصل أسطول بيريه الأمريكى طالباً بعض الموانئ للتـزود بالوقـود مـن حكـومة الـباكفو فى الوقت الذى كانت اليابان مغلقة على نفسها معتزة بكـبريائها، لا نجـد فى مخالطـة الأجانـب إلا انحطاطاً ورذيلة تهدد عنصرهم السامى، هكذا نبـتت أراء العنـصرية عـلى ضفاف دولة ياماتو، فقد كان محرماً على الأجانب دخول البلاد فى ذلـك الـوقت وذلـك باستثناء ميناءى ناجاساكى وهيروشيما اللذين كانا يسمح فيهما بالتزود بالوقـود وتـبادل المراسـلات بين اليابان والدول القريبة منها. ولم يكن الأمر يزيد على بعض التـسهيلات التـى سـمحت بها حكومة الباكفو لبعض سفن هولندا التى كانت تحمل الحديد وبعـض المنـتجات المعدنـية إلى هـذا الميـناء. ولم يعد الأمر سراً أن طلب الأدميرال بيريه فتح الموانئ كى يتزود بالوقود قد خلق شعوراً بالاستياء لدى حكومة الباكفو، خاصة أن الأمر قد وصل إلى داخل البلاد وأصبح يشكل تهديداً صريحاً لكبرياء الأمة، وبالتالى كان هناك رأيان..

رأى يـرى مقاومة ذلك الأجنبى ومنعه بأى ثمن كان وهو الرأى الأغلب والذى يقوده رجال الساموراى المستعدون للتضحية (Koiron)، ورأى يرى التريث فى الأمر والسماح لهم بالتزود بالوقود والماء طالما أنهم لن يدخلوا اليابان (Kaikokuron).

واسـتقر الأمـر عـلى الـرأى الثانـى، وصـاحب ذلـك غليانـاً ملحوظاً بين المثقفين الذين ينتمون إلى المدرسة الكنفوشيوسية التقليدية التى ترى فى المحافظة على كبرياء البلد ومخاصمة الأجانـب نـوعاً مـن القـوة، نعـم سـاد إحساس غامض بعدم الارتياح بل والخوف من هذا الاسـتقرار الأجنبـى، خاصة إذا علمنا أن نبأ هزيمة الصين (دولة شن) وهى الدولة الأم على يـد الإنجليـز فى حـرب الأفـيون قـد وصلت أنباؤه إلى داخل البلاد وأن الخوف من تعرض اليابان للمعاملة بالقوة جعل الأمر يحتاج إلى حكمة عالية فى التعامل مع الأجانب القادمين.

إن تلـك الـروح الجديـدة التـى هلـت عـلى اليابان فى ثوب الميكنة الحديثة وعصر المادة،

خلقت تهديداً حقيقياً لمجتمع البوشى الذى كان ينضوى تحت الأخلاق الكنفوشوشية وروح ياماتو أى روح الانتماء لأرض الأجداد وآلهتهم وهو انتماء فرض روحاً لا تعرف الضعف وإرادة لا تفل الحديد... بل ومقاومة عنيدة ولكل من يحاول تغيير تلك الروح الموروثة. وكان من البديهى أن تتجه حكومة ميجى وهى الحكومة الانتقالية التى انتقل إليها أمر البلاد أثر محاولة انقلاب سلمية بل وردية على يد النبلاء لإقامة دولة حديثة وبناء جيش قوى قادر على مواجهة استفزازات الغرب القوى الذى فرض على اليابان فتح أبوابه.

ولم يمض قليل حتى شهدت اليابان تغيراً جذرياً فى مفاهيم السياسة والاقتصاد والتعليم والميكنة الجديدة.. لقد ساور اليابانيين شك قاتل فى القيم الأخلاقية التى يؤكدها أنصار المدرسة الكنفوشيوسية والتى تجرم السعى وراء المادة ومحاولة تقليد الأجنبى فى مظهره وطريقة حياته، إن مثل هذا الجمود الفكرى كان من وجهة نظر أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) أحد الأسباب وراء تخلف اليابان وعدم لحاقها بالأمم المتحضرة... مما خلق عقدة نفسية لوحظت لوقت طويل على مستوى رجال الحكم والمثقفين، أنها عقدة الخواجة. أى الاعتقاد فى كل ما هو أجنبى ونقد كل ما هو تقليدى. ونشأ عن هذه الروح الجديدة روح النقد لطائفة البوشى التى كانت تتشدق بمعانى الصبر والتضحية أمام الموت.

وما أن أدرك المثقفون من رجال الحكم خيبة اليابان أمام سلطان الآلة الجديدة حتى ساد إحساس بالانهيار النفسى وعدم الثقة فى المعانى الأخلاقية.. وزاد الطين بلة أن الساموراى رجل نظرى غير قادر على صنع شيء بل هو عالة على سيده يطعمه ويسقيه.. وبدأ التفكير جدياً فى إلغاء النظام الطبقى الاجتماعى وانهارت البوشيدو رسمياً، ولو أن قيمها الراسخة فى القلوب هى التى سجلت لليابان النصر الحقيقى فى قضية التقدم والتحدى..

ولست أدعى من كل تلك السطور أن روح اليابان التى ولدتها تعاليم البوشيدو الأخلاقية هى السبب الأوحد فى انطلاقة اليابان المظفرة، بل الحق يقال أن هناك ظروفاً دولية أجبرت اليابان على الدخول فى زمرة الشعوب الحرة، وإنهاء عزلتها السياسية التى طالما كانت هى السبب ضمن أسباب أخرى جعلت اليابان أمة غير مفهومة الأخلاق والطباع بل وساعدت تلك الظروف فى خلق أسطورة اليابان الجديدة بدلاً من تلك الأسطورة التى روج لها الغرب والتى لم تعرفها الأمم المتحضرة من قبل.

خلقت تهديداً حقيقياً لمجتمع البوشى الذى كان ينضوى تحت الأخلاق الكنفوشوشية وروح ياماتو أى روح الانتماء لأرض الأجداد وآلهتهم وهو انتماء فرض روحاً لا تعرف الضعف وإرادة لا تفل الحديد... بل ومقاومة عنيدة ولكل من يحاول تغيير تلك الروح الموروثة. وكان من البديهى أن تتجه حكومة ميجى وهى الحكومة الانتقالية التى انتقل إليها أمر البلاد أثر محاولة انقلاب سلمية بل وردية على يد النبلاء لإقامة دولة حديثة وبناء جيش قوى قادر على مواجهة استفزازات الغرب القوى الذى فرض على اليابان فتح أبوابه.

ولم يمض قليل حتى شهدت اليابان تغييراً جذرياً فى مفاهيم السياسة والاقتصاد والتعليم والميكنة الجديدة.. لقد ساور اليابانيين شك قاتل فى القيم الأخلاقية التى يؤكدها أنصار المدرسة الكنفوشيوسية والتى تجرم السعى وراء المادة ومحاولة تقليد الأجنبى فى مظهره وطريقة حياته، إن مثل هذا الجمود الفكرى كان من وجهة نظر أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) أحد الأسباب وراء تخلف اليابان وعدم لحاقها بالأمم المتحضرة... مما خلق عقدة نفسية لوحظت لوقت طويل على مستوى رجال الحكم والمثقفين، أنها عقدة الخواجة. أى الاعتقاد فى كل ما هو أجنبى ونقد كل ما هو تقليدى. ونشأ عن هذه الروح الجديدة روح النقد لطائفة البوشى التى كانت تتشدق بمعانى الصبر والتضحية أمام الموت.

وما أن أدرك المثقفون من رجال الحكم خيبة اليابان أمام سلطان الآلة الجديدة حتى ساد إحساس بالانهيار النفسى وعدم الثقة فى المعانى الأخلاقية.. وزاد الطين بلة أن الساموراى رجل نظرى غير قادر على صنع شيء بل هو عالة على سيده يطعمه ويسقيه.. وبدأ التفكير جدياً فى إلغاء النظام الطبقى الاجتماعى وانهارت البوشيدو رسمياً، ولو أن قيمها الراسخة فى القلوب هى التى سجلت لليابان النصر الحقيقى فى قضية التقدم والتحدى..

ولست أدعى من كل تلك السطور أن روح اليابان التى ولدتها تعاليم البوشيدو الأخلاقية هى السبب الأوحد فى انطلاقة اليابان المظفرة، بل الحق يقال أن هناك ظروفاً دولية أجبرت اليابان على الدخول فى زمرة الشعوب الحرة، وإنهاء عزلتها السياسية التى طالما كانت هى السبب ضمن أسباب أخرى جعلت اليابان أمة غير مفهومة الأخلاق والطباع بل وساعدت تلك الظروف فى خلق أسطورة اليابان الجديدة بدلاً من تلك الأسطورة التى روج لها الغرب والتى لم تعرفها الأمم المتحضرة من قبل.

يـؤكدوا ويثبـتوا أسـطورة الإمبراطورية العظمى والدولة التى لا تغيب عنها الشمس.. لقد تطـورت الأحـداث الدولـية بـسرعة مذهلة أفقدت قادة اليابان الحكمة ودفعتهم تحت وهج هـذه الـروح إلى حرب توسعية أسموها "حرباً مقدسة" من أجل الإمبراطور وأنه سيرعاهم بل وسيقدم لهم الحماية الآلهية عندما يفتحون البلاد المجاورة.

إن البوشـيدو فى عـرف الأخـلاق اليابانية ارتبطت بالدفاع عن معانى الشرف والكرامة التـى تعتـز بهـا الأمـة اليابانـية، وتلـك الـروح الأخلاقية هى خلاصة الأخلاق الدينية التى غرستها الأعراف السائدة فى اليابان.

فـنجد أن فكـرة "الجمـيل" "رد الجمـيل" فى الفكر الدينى اليابانى والتى تعرف باسم (HOON) (ON)، أى الفـضل والاعـتراف بالفـضل مـن القـيم العلـيا فى المجـتمع اليابانـى التقلـيدى. وقـد لعبت دوراً مهماً فى استجلاب روح الحب والولاء الوطنى والروحى لدولة اليابان وامبراطورها وقياداتها السياسية والاقتصادية والدينية.

فالاعـتراف بالجمـيل أو الفضل من القواعد الأصولية فى القيم الأخلاقية اليابانية، وإن تناسـى أو تجاهـل تلـك الفـضيلة كافـياً لإنهاء كل مشاعر الود والحب واستدعاء كل مشاعر الكـراهية والعداء. ولعل الكاهن البوذى الشهير "نيتشيرن 1282-1222) NICHIREN) فى كـتابه 'HOONSHO' قد أكد أن أهم شىء فى الأخلاق والتى لها دلالتها فى الحياة هم أربعة أصحاب فضل يجب البر بهم ورد الجميل لهم. وهؤلاء الأربعة هم: الوالدين، كل المخلوقات من إنسان وحيوان، ملك البلاد، والكنوز البوذية المقدسة (بوذا. التعاليم. الكهان).

ولقـد دخلـت البوذية إلى اليابان فى مطلع القرن السادس الميلادى وارتبطت فى قدومها بأوضـاع سياسـية كانـت تـستوجب رفع المعنويات الروحية للشعب اليابانى وربط السياسة بالـدين للوصـول إلى أهـداف معيـنة، وقد كانت البوذية تعتبر ديانة النخبة الحاكمة ويقتصر العمـل بطقوسـها على الكهنة والخدم الذين يتوارون خلف النبلاء من علية القوم.. وقد كان مـن المهـم أن يغـرس هـؤلاء القائمون على الحكم معانى جميلة غير معهودة تجعل الإحساس بالولاء لهم واجباً دينياً يستوجب العمل على عرفان الجميل ورده لمن جلبوه لهم.

إذن خلاصـة القـول إن "الإحـساس بالجمـيل" "ووجـوب رد الجميل" كانا من القيم الدينـية الـرفيعة التـى اسـتمدت جذورها من الديانة البوذية ولقد ظهرت كلمة "الإحساس بالجمـيل" فى كتابات "موشى (Moshi) وكذلك كتاب Rongo للفيلسوف الصينى شوشى

(Shoshi) ولعل تلك القيم الدينية تمثل الأساس الذى استمدت منه البوشية معالمها الأخلاقية، فالعمل فى وقت السلم والحرب هو نوع من رد الجميل، والإحساس بالجميل الذى وهبه الوطن أو العشيرة أو الشركة أو المؤسسة التى ينتمى إليها. وقد انتشرت تلك القيم فى القرن الثانى عشر والثالث عشر على يد مجددى الديانة البوذية أمثال مؤسس طريقة "سوتو شو" البوذية الروحى "دوجين".

ولقد احترم الشعب اليابانى معلميهم من الرهبان أو رجال العلم واعتبروهم آلهة أو فى مصاف الآلهة الروحيين. ولقد خلقت تلك القيم الروحية نوعاً من الارتباط الأزلى بين الحكماء والعامة وبين القادة والرعية، وأصبح الواجب الوطنى هو ذاته واجباً دينياً وأخلاقياً رداً لفضل الوطن وجميله على الشعب.

ولعل قيم البوشيدو الخالدة تستمد قوتها من آثار التعاليم البوذية التى أصبحت بعد ذلك الأساسى للفكر الأخلاقى اليابانى، بل أصبحت هى روح الأمة اليابانية.

لقد تطورت المفاهيم الحياتية عند اليابانيين من مجرد العمل بالواجب تجاه أباطرة البلاد والتضحية بكل غال ورخيص فى سبيل رضائهم، وكنوع من الاعتراف بجميلهم إلى تفعيل تلك القيم إلى التفانى فى العمل أياً كان نوعه باعتبار أن الفرد هو جزء من كيان المجتمع الذى يعيش فيه، وأن واجبه رد الجميل لهذا الوطن الذى أعطاه ومنحه الوجود والحياة.. إن تزامن تلك القيم العليا مع انطلاق الشرارة الأولى لبناء اليابان الحديثة كان له أثره البالغ فى الوصول إلى الأهداف القومية فى أسرع وقت ممكن.. لقد تحولت العواطف الدينية إلى تطبيقات فعلية من أجل الوطن، ولو أن أسلوب التربية فى المجتمع اليابانى قد غرس فى نفوس أبنائه حب الإيثار لا الأثرة، والتسامى عن الأهداف الخاصة. لقد أسهمت تلك القيم فى إعطاء الوقت والجهد الكافى للعمل والإنجاز، وتحول الشعب اليابانى إلى خلية نحل لا تتوقف عن العطاء من أجل الوطن ورداً للجميل.

لقد امتزجت القيم الدينية والحياتية فى ضمائر الشخصية اليابانية بحيث أصبح الضمير الوطنى معناه الضمير الأخلاقى والدينى والاجتماعى. وأصبح الإمبراطور هو الإله وفى نفس الوقت هو كبير العائلة. وأصبح رد الجميل للإمبراطور بصفته الإلهية أولاً وبصفته الأب الروحى للعائلة.

لقد ارتبط العمل من أجل الوطن بالعمل من أجل الإمبراطور فى صورته المؤلهة فأدى ذلك إلى مشروعية قيم العمل واستقامتها مع روح اليابان التى هى من جملة القيم الدينية والأخلاقية لمجتمع البوشى.

وربما لا ننسى أبداً تأثير الفكر الصينى – الكنفوشيوسى على السلوك الفردى للشعب اليابانى. ذلك الشعب المولع بتعلم كل جديد فى نطاق الأخلاق أو الفنون الجميلة، فالشعب اليابانى بطبيعته ينشد الكمال والجمال فى آن واحد، ويبغى الرفعة والنهوض. إن المدرسة الكفنوشيوسية اليابانية. وكما أورد البروفيسور / تكايى أوتشى جيوا فى كتابه "الكنفوشيوسية فى اليابان": "إن العلوم الكنفوشيوسية فى الصين محورها الاحترام، ومحورها بلوغ المعرفة والكمال، ولكن لم تنشأ علوم كنفوشوسية أساسها "الإخلاص "MAKOTO لقد ترعرعت فى اليابان الكنفوشيوسية التى تتمحور حول الإخلاص" لقد ارتاح المتحمسون للعلوم الكنفوشيوسية لفضيلة "الإخلاص" واستمر التمسك بها ودون توقف أجيال وأجيال.

إن قضية الانتصار عند اليابانيين تمثل الرغبة فى تحرير الروح اليابانية من أى قيود، إنها هى قضية الحرية الوطنية والاستقلال التى عبر عنها موكوزاوا بوكيتشى فى كتاباته الأولى عن الاستقلال: " إن أى معانى تحول دون ذلك هى عين الهزيمة والهلاك، لقد كانت البوشيدو تعزز فى نفس اليابانى رفض الاستسلام للخوف أو المرض أو حتى الألم.. وكان من البديهى أن الغرض من وراء ذلك هو إثبات قوة النفس ورباطة الجاش.. وما أن جاء عصر ميجى، وهو عصر المساس بكبرياء اليابان، تحولت الآراء من مجرد صيحات تردد فى الهواء إلى ناقوس خطر يدق فى كل الأجواء"

لقد تحركت اليابان قادة وشعباً فى كتلة واحدة كى يدافعوا عن كرامتهم وهى كرامة الأمة من أن تدنسها دولة أجنبية.

إن البوشيدو وهى خلاصة التعاليم الدينية والأخلاق الوطنية أصبحت رمزاً لكل مقدس عندهم فإن أردت أن تكون و طنياً مكرماً فيجب أن تعلم معانى الرجولة التى سطرها رجال البوشى.

٤ - حركة الفكر اليابانى الحديث

ولقـد كـان هدف تلك الحكومة محدداً وواضحاً وهو "نظام دستورى جديد"، "وتنمية الروح الرأسمالية من خلال مجموعة من الخطوات والشعارات التى رفعتها وسعت لتحقيقها. ولعـل الـتاريخ هـو الـذى يحدثـنا عن الملابسات السياسية التى وضعت فيها اليابان حينذاك وغـيرت مـن مجريات الفكر اليابانى السائد، والذى كان أحد أسباب تخلف اليابان السياسى والاقتـصادى والاجتماعـى... إن نظـرة شاملة على تطورات الأحداث فى تلك الحقبة يجعلنا نتصور عظم المشاكل التى وضع فيها قادة البلاد ومثقفيها، والحيرة التى عانى منها المجتمع فى تعاملـه مـع الفكـر الغربـى الـوافد.. ولقـد سـبق سياسة الانفتاح التى تبنتها حكومة ميجى تطـورات متلاحقة أجهزت على النظم العتيقة للحكومة العسكرية "الباكفو"، فقد دار جدل عنـيف بـين أنـصار المدرسة القومية التقليدية المعروفة باسم "الكانجاكو"، والمدرسة الغربية الجديـدة المعـروفة باسـم "يوجاكـو".. اتهـم كـل مـنهما الآخـر بالـتواطؤ والخـيانة لقداسة الإمـبراطور لكـن ظلت القضية التى تشغل كليهما هى : كيف نحمى ثقافتنا ونحن فى مفترق الطرق، وكيف نبنى دولة قوية معتزة بأخلاقها!!

وقد استخدم أصحاب المدرسة الأولى فى جدلهم سلاح "احترام الإمبراطور" والمعروف باسـم "SONNORON"، حـيث أكـدوا عـلى ضرورة التمـسك بالهيبة والقدسية لشخص الإمـبراطور وعائلته قبل التفكير فى إقامة نظام سياسى أو فكر مستورد. إن العودة إلى القديم هى دأب كل الأمم الشرقية، فملاذ العامة دائماً هو العودة إلى الوراء والتماس الأمان فى الماضى وكـراهية التغيـير.. إن أنـصار الدعـوة إلى المحافظـة عـلى الخـط الإمـبراطورى هـم أنفسهم أصحاب الدعوة إلى التغيير فى إطار الأعراف الأخلاقية التى ترعاها الأمة ولا تحيد عنها..

إن أهـم ما يميز حركة الفكر اليابانى هو الامتزاج والاندماج الكامل بين معايير الانتماء الـسياسى والمـذهب الأخلاقـى والعقائـدى فانظـر إلى ماقالـه البروفيـسور ماتـسوموتو سانوسـكى، أسـتاذ العلـوم السياسة بجامعة طوكيو: "إن الديانة الشنتوية ليست هى طريق الآلهة كما هو معروف من التمائم الدينية والعبادات، وإنما هو طريق حكم الإمبراطور".

فالأديـان اليابانـية هـى التـى مهـدت للحكـم الـسياسى وأعطـته الـشرعية الأخلاقية

والسياسية. وبالتالى فإن الإمبراطور هو الرمز القومى كما تعبر عنه كلمة "سياسة" فى اللغة اليابانية، وعلى هذا الأساس فإن الإمبراطور هو الممثل الحى للديانة الرسمية وله صفة الألوهية والشرعية السياسية فى آن واحد، وطاعته واجبة دون تراخ أو تراجع. ومن هذا المنطلق قامت وحدة الأمة اليابانية على وجوب الطاعة العمياء لكل ما يهم الإمبراطور دون مناقشة، واعتبار الخروج على هذه الطريق هو خروج على الطاعة للحاكم المؤله..

إن مبحث تقديس الإمبرطور SONNO RON الذى قاده أنصار المدرسة القومية المعروفة التى كانت ترتدى ملابس الولاء للبلاط الإمبراطورى فى رفضها لقضية الانفتاح على الغرب واعتبرت أن التفريط فى النظام الأخلاقى الإمبراطورى هو بعينه الخيانة لذات الإمبراطور ونوع من الارتداد الأخلاقى فى آن واحد.

وحتى تحافظ اليابان على استقلالها السياسى كان لزاماً عليها المحافظة على الطريق الإمبراطورى بكل نواميسه وإبداء المرونة السياسية الكافية لاجتياز عقبة التعامل مع التحديات الدولية الجديدة. وقد نجحت اليابان من خلال فلسفة النظام الإمبراطورى المحافظة على وحدة الشعب الذى يقدس إمبراطوره، وبالتالى إنجاز أهداف الدولة القومية.

٥ - البوشيدو وعلاقتها بالسياسة:

سبق أن قلت أن علاقة البوشيدو بالأديان تمثل محوراً أساسياً تقوم عليه، فالبوشيدو تدعو إلى الإخلاص للإله (سواء كان هذا الإله ممثلاً فى شخص الإمبراطور أو عائلته، أو ممثلاً فى قادة اليابان الأقوياء، أو كل ما يربط اليابانى بالتربة اليابانية).

والإخلاص ليس هو العمل لغير المنعوت بالألوهية، فالهدف الذى من أجله أحيا لابد وأن يلتقى مع الرغبة فى التضحية، بل وحب التضحية.. ونظراً لأن تلك المعانى لا توجد إلا فى المعانى التى تأمر بها البوشيدو، فبديهى أن يتحلى رجال اليابان بتلك الروح بل وتعد مصدر حبهم للوطن وولاءهم لترابه.

إن العبادة عند اليابانيين تعد طرازاً مختلفاً عن سائر العقائد، فقد يكون لديانة ما شكل معين وطقوس لا مفر منها عند القيام بالصلاة لأجل الإله، ولكن البوشيدو هى روح الانسجام مع الواقع والصبر على المر لأجل الهدف، فإذا كانت الحرية هى الهدف فلابد من

تحقيق ذلك بالصبر وألوان المهادنة، وهدوء النفس فلا ثورة ولا عنف، فالياباني لا يلجأ إلى العنف إلا حين يكون ذلك واجباً يحتم عليه ذلك فالرغبة فى الحرية تفرض واجباً يجب تأديته وإلا فنوال الحرية مستحيل.

إن الحديث عن البوشيدو منفصلاً عن السياسة يعد أمراً مستحيلاً، فالسياسة عند اليابانيين هى انعكاس لمعانى البوشيدو، تلك المعانى التى غرزت حب الوطن ممثلاً فى الأرض والطبيعة والإمبراطور والشعب إنه حب جامع لا يفرق بين جزء وآخر، إنه حب غريزي انفطرت عليه الشخصية اليابانية، إنه خلاصة تعاليم البوشيدو والتى تمجد الروح اليابانية وتعد اليابان فوق رؤوس البشر..

وقد أمدت هذه الروح اليابانيين باعتقاد راسخ بأهمية الدفاع عن كل شيء يمس كبرياءهم سواء كان ذلك خطأ أم صوابا. إن قضية الخير والشر عند اليابانيين لها معنى مختلف طالما كان ذلك يعنى الولاء للوطن فالولاء مسبق على المبدأ، والحقيقة لا تعنى سوى مصلحة اليابان.. لقد بحثت كثيراً فى أسباب تفوق اليابانيين فوجدت تلك الروح وقد يكون انتهاج الشعب لطريقة حياة واحدة أحد الأسباب التى جعلت التجانس مطلوباً فى كل شيء والاختلاف مبغوضاً إلى حد بعيد وكما ذكر مؤلف البوشيدو ونقلاً عن مقولة "ارثر كناب" فى قوله "من العسير أن نميز فى الأدب العبرى فيما إذا كان الكاتب تحدث عن الله أو الدولة وعن السماء أو القدس أو الوطن نفسه" وهذه الكتلة الواحدة فى الفكر والسياسة والتقاليد الاجتماعية والدينية خلقت توحيداً تاماً فى الشعور والوجدان بل فى الواجبات القومية بصرف النظر عن صحة ذلك أو خطاه.

ولعل الحديث عن علاقة البوشيدو بالسياسة يفرض علينا نوعاً من الالتزام بالبحث عن الجوانب التى استوحى منها رجال الحكم أفكارهم لدعم فكرة الحكم والتسلط.

إن كثيراً من النظريات والتعاليم الأخلاقية استمدت جذورها من الكنفوشيوسية فإقرارها للعلاقات الأخلاقية ما بين السيد والمسود "الحاكم والمحكوم" وبين الأب والابن والزوج والزوجة وبين الأخوين والأصدقاء كلها أتت تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية..

فقـد كان لبساطة التعاليم الكنفوشيوسية أثرها الواضح فى تقبل اليابانيين لها واندماجها مـع أوضـاعها البيئية وثقافتهم الذاتية، فقانون الطبيعة الذى يحكم البيئة اليابانية يفرض نوعاً مـن الاحترام للأقوى والولاء والطاعة له، ومن هنا جاءت تعاليم كنفوشيوس بمثابة دعامة قوية لما كان سائداً فى ربوع اليابان من قواعد للعلاقات الرأسية والأفقية.

ومـن هـذا يتـضح لـنا أن تعاليم البوشيدو نبتت فى أوضاع بيئية فرضها الواقع أكثر من النظـرية فقـد انـسجمت التعلـيم فى مـضمونها مـع نظـرية الواقـع انـسجاماً حقق نوعاً من الاسـتقرار القومـى، فقد اقر القوى على أحقيته فى البقاء وبالتالى حقوقه الطبيعية، وأنكر على الضعيف استقلاله طالما أنه لا يجد ملجئاً يؤويه ويحميه من أنياب الأقوياء..

ومـن مـنطلق تلـك الظروف ظهرت عناوين أخلاقية طيبة فى مظهرها خبيئة فى مخبرها، فـنجد معانـى الـواجب تجاه السيد الحاكم هى فى ظاهرها طيبة المعنى ذكية الرائحة ولكن فى باطنها تحمل روح الخوف على المصير وحب البقاء والرغبة فى حياة آمنة.

إن رجـال البوشـى كانـوا يـتحلون بالشجاعة أمام أسيادهم فقط دون الحاجة إلى تأكيد ذلك أمام العامة وأن الطبقات الأدنى كانت تخشى قوتهم وتحاول تقليدهم.

كـذلك نجـد أن حكـم البلاد انتقل إلى طبقة البوشى فى وقت عم فيه الكرب والفقر فى الـبلاد فقلـيل مـن ثـروات الـبلاد كانـت فى أيـديهم وأغلب الثروات فى أيدى النبلاء الذين اشـتهروا بالـبذخ والـرغبة فى تقلـيد أباطرة الصين واقتناء فنونهم إن تعاليم البوشيدو لم تكن تحمل فى طياتها نظريات مجردة أو غاية سامية تلحق الفرد بالملاذ الأعلى بل رغبتها كانت مجرد حب الوطن وتقوية روح الانتماء القبلى والقومى.

٦ - البوشيد وعلاقتها بالاقتصاد

طالما كانت البوشيد تتغنى بالفضيلة وتنأى عن الرذيلة فإن البعد عن الملذات والزهد فى المطعم والملبس هى المرادف الطبيعى الذى تحمله تلك الطائفة.

ولعـل مـا كانت ترمى إليه فلسفة البوشيدو الأخلاقية هى تعويد النفس على الصبر على الملـذات والانتصار على الشهوات ومقاومة الإغراءات. كان لذلك أثراً عميقاً فى الحفاظ على طاقات الشباب من التبديد وإدراك الحكمة فى توزيع الثروة وتمكين الدولة من الحفاظ على ما

تدخره البنوك من أموال لاستخدامها فى مشاريعها الضخمة.. ونظراً لأن الطبيعة الجميلة هى مبعث كل راحة وملجأ كل كسير فقد ظهرت طائفة من الشعراء يتغنون بالزهد ويثنون على الحب الذى تعطيه الآلهة يتحلى بالإمساك عن الشهوات.. وهكذا يتضح مما سبق أن العادات الحسنة إذا ما عملت وانتشرت كان لها أكبر الأثر فى خلق جيل قويم الخلق سليم الإحساس مثابر فى الحياة متفان فى حب الوطن..

ولما كان العصر الحديث يحمل فى طياته كل دلائل حب المال والدعوة إلى جمعه لأجل البناء والتعمير فإننا نجد أن كثيراً من رجال البوشى قد تأزمت أخلاقهم بصدور قرارات حل النظام الطبقى الذى دام قرابة مائة عام فقد انطوت هذه القرارات على أهداف جديدة مردها الحاجة إلى دخول العصر الجديد والبحث عن الذات فى عالم جديد.

ولما كان أغلب طوائف البوشى من الصنف الذى ينكر حب المادة، ويتنكر لها، فقد سبب دخول اليابان عصر جديد أهدافه المادة فى هدم كثير من العلاقات الاجتماعية المتينة التى كانت تربط تلك الطوائف بأفراد المجتمع.... وانحسر عمل البوشى فى أعمال لا تجلب استقرار ولا هدوء... وأخذ كثير منهم يتقبل الوضع الجديد بشيء من الألم والمرارة.. وظهرت دعوات تدعو إلى الانخراط فى المدنية الحديثة مع الاحتفاظ بالروح القديمة وهو الشعار المعروف باسم "Washin Yosai" أى الروح اليابانية والنبوغ فى العلوم الأوروبية وبالتدريج أخذت الروح اليابانية تعرف أخلاقاً جديدة لها طعم جديد، فالسعى من أجل المادة لا يعنى المادة لذاتها بل تأمين الروح اليابانية وحمايتها أمام جبابرة الغرب، هكذا نظر أغلب مثقفى اليابان وهم ممن ينتسبون إلى المدرسة الكنفوشيوسية أى "الكانجاكو"...

ونظراً لأن العصر الجديد كان يتطلب الجد والاجتهاد فى تعليم اللغات الأوربية الحديث فإن أغلب المتعلمين كانوا يعانوا من عدم فهم اللغات الأوربية وذلك لعدم وجود قاموس يابانى- أوروبى، واتجاه معظم المثقفين إلى البحث فى القواميس الصينية – اليابانية التى تساعد على تقريب المعانى وقد كتب معظمهم النطق بالحروف الصينية حتى يمكن حفظها.

إن عظمة هذا الروح التى ولدتها عقيدة البوشيدو تكمن فى قدرة هذا الجيل من اليابانيين فى الحفاظ على روحهم القديمة بينما يسعون إلى قيام دولة حديثة مختلفة عن فكر البوشيدو شكلاً ومضموناً..

ولقد أسهمت روح البوشيدو وهى روح اليابان التقليدية فى الحفاظ على قدر عال من المعنويات العالية فى تلك المعانى فى كتاباتهم عن الحضارة الأوربية ومدى احترامهم لروح اليابان مهما بلغت رغبتهم فى التقدم. إن مجلة رواد الفكر الحديث والمعروفة باسم " Meiroku Zasshi" أى مجلة السادس من ميجى تضم أكثر من ثلاثة وأربعين عددا مكتوبة بأيدى أصحاب المدرسة الغربية المعروفة باسم "يوجاكو" وهم نسل الساموراى وخلاصة مثقفيهم، وأكثرهم ينحدر من أصل بوشى وسافروا فى بعثات دراسية لدول الغرب كى يترجموا حضارة الغرب وينقلوها لليابان. إن هؤلاء المثقفين الجدد كانوا يؤكدون فى كتاباتهم أهمية الحفاظ على روح ياماتو أى الروح التى تمسك بها رجال البوشى الأحرار، وكانوا لا ينفكون عن معاداة كل من تسول له نفسه أن يخرج عن هذا الإطار.

إن معانى الزهد ومقاومة النفس التى خلفتها البوشيدو كان لها أكبر الأثر فى تكوين روح الجماعة التى أسهمت بقدر فعال فى تطوير نظام الإدارة فى الشركات، وتعزيز معانى وقيم العمل لأجل الشركة بل وصل الأمر إلى حد التضحية بأيام الأجازات لأجل تحقيق أعلى ربح للشركة أو المصنع الذى ينتمى إليه.

إن روحاً جديدة سرت فى أوصال المجتمع اليابانى وعلى رأسها المؤسسات الاقتصادية والمصانع الجديدة فقد كرس رجال الاقتصاد أهدافهم لخدمة الوطن، وأصبح شعار : العمل لأجل الشركة مساوياً لمعنى : العمل لأجل الإمبراطور..

وتحولت القيم التقليدية إلى روح جديدة تغزى قيم الانتماء للشركة أو المصنع وأصبح الخروج عليها نوعاً من الانتحار، فليس هناك شركة تسمح لأحد موظفيها بالاستقالة والعمل مع شركة أخرى.. وأصبح ذلك يشكل عبئاً على استقلالية الفرد وحياته الخاصة وأصبحت أسرة الموظف بالشركة مدينة بالفضل للشركة وبالتالى أصبح للشركة كامل الحق فى التدخل فى حياة الفرد الشخصية والعائلية، كل ذلك نجم عن الاحترام الزائد الذى أولاه أفراد الشعب اليابانى لقضية التقدم، وكان لروح الولاء والإخلاص والتفانى أكبر الأثر فى إثراء تلك القيم وتثبيتها فى النفوس.

إن البوشيدو هى طريقة حياة ومبدأ قوم أسهمت فى زرع قيم خالدة ترعرعت فى ميدان

الحب والحرب فأما فى ميدان الحب فكانت هناك الرابطة التى ربطت قلب كل يابانى بأرضه وجنسه وعقائده وأما فى ميدان الحرب فقد أسهمت فى تخريج أجيال لا تعرف الخوف من أجل المصلحة الذاتية بل أجيال تفضل الموت فى سبيل الوطن. فقد تربت أجيال الساموراى فى أحضان طبيعة قاسية وربابة خشنة لا تسمح بالضعف أمام المادة أو الاستسلام أمام الإغراء فكان النتاج باهرا والعطاء سخياً، فقد درج القوم على الاستئثار بالقليل والتنازل عن الكثير لأجل المجموعة فولدت قيمة مفادها التضحية وإيثار الغير وإنكار الذات.

وقد كان أحد ثمار الأخلاق الانطلاقة الحضارية التى انطلقتها اليابان من أجل اللحاق بالحضارة الأوربية الحديثة مستفيدة من كل ما أتيح لها من فرص لاقتناص العلم والتجربة مستخدمة كل ما لديها من حيل ودهاء واستكانة أمام الغرب للحصول على المعرفة ولقد توافرت لهم تلك الخصوصيات فى علاقتها الاجتماعية فهم يعرفون السمع والطاعة والولاء، ويفهمون أن الاعتراض على رأى الأستاذ يقابله العقاب والحرمان. وقد زاد ذلك من إحساس الإنسان الغربى بالكبرياء تجاه اليابانيين ودفعه إلى إعطاء أسرار الحضارة دون خوف أو تردد.

إن لغة الاستعباد والرقيق التى ولدتها طبيعة المجتمع اليابانى جعلت إمكانية التعامل مع أى جنس سهلة ولا تتطلب جهداً خارقاً وقد جعل ذلك كثيراً من الأجانب يصفون الشعب اليابانى بالأدب والتواضع، ولكن الحقيقة أن القسوة التى يلاقيها اليابانى مع من هم أعلى منه جعلته يعتاد الصبر والاستكانة وبالتالى التواضع والخضوع.

عودة إلى حديثنا عن معانى البوشيدو الخالدة نجد أن القيم الخالدة التى زرعتها البوشيدو من ضبط نفس وحلم ورأفة وإحسان وصبر وشجاعة كانت لها أكبر الأثر فى تطويع الإنسان اليابانى لخدمة أغراض النهضة الحديثة، فإن معانى الصبر والحرمان والجلد التى تميز بها رجل البوشى قد ترجمت إلى قيم ضرورية من قيم العمل والإخلاص للدولة، وبالتالى أسهمت فى رفعة شأن الصناعة اليابانية، ونجم عن ذلك قدرة اليابان على الدخول فى عالم المنافسة الحرة فى الصناعة والتجارة. لقد حمل نسل الساموراى على عاتقهم عبء تحديث اليابان، وأخذ المثقفون اليابانيون على عاتقهم دوراً مهماً وحيوياً فى تبصير الشعب اليابانى

بأهمية التقدم والحضارة الحديثة فى الوقت الذى أخذ فريق آخر على عاتقه مهمة نقل واقتباس أصول الميكنة الحديثة، وسار الفريقان يدعمان هدف الدولة القومى الذى رفعته وهو الشعار المعروف باسم : "Bonmmei – Kaika" "Fukoku Kyohei" أما الشعار الأول فيعنى عصر الحضارة والتنوير، وأما الثانى فيعنى دولة غنية وجيشاً قوياً ويمثل كلا الشعارين المرحلة الأولى فى عملية التقدم فى اليابان.. ثم أعقبت ذلك عدة شعارات لاستكمال معانى الحداثة الجديدة.

إن الجانب العلمى من الحضارة قد استحوذ على كل اهتمام اليابانيين سواء كانوا مثقفين أو سياسيين أو أصحاب رؤوس أموال، وأعقب ذلك إهمال متعمد للجوانب الروحية والإنسانية معاً، وقد ترك ذلك أثرًا واضحاً فى عجز اليابان عن استيعاب الجوانب اللاهوتية والفلسفة للحضارة الأوروبية.. وربما كانت الظروف الدولية التى أحطت باليابان أحد الأسباب التى حالت دون استكمال مسيرة التقدم فى مجال الحكم وبالتالى ساهمت فى كثير من سوء الفهم لطبيعة الثقافة والفكر اليابانى بشكل عام..

ونظراً لأن العقائد الإلهية تمثل الجانب المهم فى الحضارات العالمية فإنه يبدو واضحاً من طبيعة الحضارة اليابانية أن هذا الجانب من العقائد الذى حمله رجال البوشى كان يمثل معانى أخلاقية أكثر منها عقائدية وبالتالى فإننا نجد أن معانى الوفاء والولاء والطاعة كان مقصود بها اليابان ولا دولة غيرها، وكذلك نجد أن الاحترام والثقة بين أبناء الجنس الواحد ـ أى جانب الجنس اليابانى ـ لا يمكن أن يمتد بشكل أو بآخر إلى أجناس أخرى، ومن هنا نجد أن البوشيدو قد خلقت من جانب قيم خالدة للجنس اليابانى، ومن جانب آخر ولدت إحساساً عنصرياً بالتفوق ورغبة قوية فى الانتصار على أى جنس آخر، وأسهم ذلك بدوره فى قدرة اليابان على تحقيق عملية التقدم فى وقت وجيز... أما إذا تحدثنا عن الجانب السلبى الذى أحدثته البوشيدو فى علاقة اليابانيين بغيرهم من الأجناس الأخرى لوجدت أنها ولدت روحاً قومية امتلأت بالرغبة فى التوسع على حساب الجيران، وحرباً توسعية جعلت العلاقات الدولية بين اليابان وجيرانها الأسيويين شبه مستحيلة، ثم ما لبثت أن اندلعت حرب توسعية بين اليابان والغرب انتهت بهزيمة اليابان هزيمة كبرى على يد قوات الحلفاء...

باختصار لقد تحولت البوشيدو إلى سلاح ذى حدين، فقد ولدت الشرارة العظيمة التى حولت اليابان من دولة إقطاعية فقيرة الموارد والعلم إلى صناعية وتجارية كبرى، ومن جانب آخر جرت اليابان إلى حرب توسعية وعدوانية أدت بها إلى الهزيمة.

وبالنظر إلى الاتجاه العقلانى الذى نشأ عن فكر كارل ماركس واتبعه ماكس ويفر وغيرهما من رواد الفكر الفلسفى فى عصر التحولات المدنية الحديثة، نجد أن هذا الاتجاه كان منشؤه حاجة الإنسان فى المجتمعات البدائية أو المجتمعات البسيطة. فربما نجد أن الهدف الذى يبحث عنه لا يزيد على سد الجوع عند الحاجة، وطرق الأسباب عند فقد المؤن، ثم تحولت المجتمعات من مجرد شكل بسيط إلى مدن قائمة ولكن تحكم وجودها تقاليد وعادات ربما تعوق حركة التحول إلى مجتمع مدنى. ولكن الاتجاه العقلانى تغذيه من جانب فطرة الإنسان العادى التى يحكمها العقل والرغبة فى تحسين مستوى أداء حياته.. إلا أن هذا التطور فى الفكر الإنسانى لم يحدث فجأة وبهذه السرعة بل ساعد عليه اشتباك فى المصالح بين فئات تبتغى التحول نحو الأفضل وفئات تريد أن تحتكر حركة الإنسان باسم الدين أو التقاليد والأخلاق، ونجد هذا الصدام فى كل المجتمعات، ولكن الإرادة الإنسانية والدافع للرقى الإنسانى هما اللذان يحددان إمكانية تحقيق وبلوغ هذا الهدف أم لا.. وبالتالى فإن الإصلاح يبدأ من نقطة الصفر ثم ينطلق فى مراحل متعددة وفى صعود وهبوط أحياناً حتى يستقر فى الدرجة التى ينشدها المتحمسون من هذا التطور أو ذاك الأمل.

أما عصر "طوكوجاوا" فقد كان هناك ثلاث حركات فكرية اتخذت من السياسة محوراً لأفكارها وهم "البوشيدو"، وأنصار الكوكوجاكو "المدرسة القومية" و حركة "الميتو".

وفى هذا الجو الفكرى نود أن نستعرض أهم تلك الحركات من الوجهة الفكرية وعلاقتها بالأديان أولاً، ثم تطورها على الساحة كأيديولوجية قومية.. وقبل أن نستعرض هذا الموضوع نحب أن نلقى ضوءاً على الجانب التاريخى الذى جمع تلك الحركات ثم علاقة كل منها بالأخرى ودور كل حركة فى حركة التنوير الحديثة.

جذور الفكر اليابانى القومى

إن علاقـة السياسة بالفكر كانت قوية منذ مطلع التاريخ، ونخص بالذات تاريخ اليابان الـذى يـزيد عـلى ألفـين وخمسمائة عـام، وبـالأخص تـزداد هـذه العلاقة وضوحاً فى عصر "طوكـوجاوا" وهـو المعـروف باسـم العـصر الإقطاعى، ونظراً لأننا لا يمكن أن نتطرق إلى تـاريخ الـيابان ككـل لنـستعرض مـن خلاله تلك العلاقة، فإن العصر الذى قويت فيه تلك العلاقة وأحكمت كل شىء باسم السياسة هو "طوكوجاوا" أو يسمى بـ "عصر إيدو".

وقـد يكـون لتأثـير الـصين على هذه التسمية دور فعلى فيما يمكن قوله بأنه فى عام ٦٠٤ مـيلادى صـدر دسـتور دولـة ياماتـو فى عهد الأمير شوتوكو، وهو الدستور الذى استوحى نـصوصه مـن كـل مـن الـبوذية والكنفوشيوسـية، أما النظرية التى تمس الحكم بالذات فإنها كنفوشيوسية المنبت.

إن النظـرية الكنفوشيوسـية فى الحكـم تـنص عـلى أن سلطة الحاكم ليست فقط سياسية وأخلاقـية بـل أسطورية أيضاً.. وقد صاحبت تلك الأيديولوجية نظرة مقدسة للإمبراطور، فـضلاً عـن أسرتـه أيـضاً، أمـا البوذية فأنها لم تخلو من رباط مقدس مع السياسة ، خاصة فى علاقـتها مـع الإمـبراطور وأسرته، فقد ظهرت طوائف بوذية تنظر إلى الإمبراطور على نفس شـاكلة بـوذا وتعـتقد فى اتحـاد مملكـة ياماتو الروحية الممثلة فى الإمبراطور وبين بوذا الإله – هوتوكيساما – HOTOKESAMA وقد أدى ذلك النسب الخرافى إلى وجود تبريرات شرعية تؤيد الجمع بين العقيدتين فى ثوب جديد دون حاجة إلى نزع الثوب القديم.

جذور الفكر الياباني القومي

إن علاقة السياسة بالفكر كانت قوية منذ مطلع التاريخ، ونخص بالذات تاريخ اليابان الذى يزيد على ألفين وخمسمائة عام، وبالأخص تزداد هذه العلاقة وضوحاً فى عصر "طوكوجاوا" وهو المعروف باسم العصر الإقطاعى، ونظراً لأننا لا يمكن أن نتطرق إلى تاريخ اليابان ككل لنستعرض من خلاله تلك العلاقة، فإن العصر الذى قويت فيه تلك العلاقة وأحكمت كل شيء باسم السياسة هو "طوكوجاوا" أو يسمى بـ "عصر إيدو".

وقد يكون لتأثير الصين على هذه التسمية دور فعلى فيما يمكن قوله بأنه فى عام ٦٠٤ ميلادى صدر دستور دولة ياماتو فى عهد الأمير شوتوكو، وهو الدستور الذى استوحى نصوصه من كل من البوذية والكنفوشيوسية، أما النظرية التى تمس الحكم بالذات فإنها كنفوشيوسية المنبت.

إن النظرية الكنفوشيوسية فى الحكم تنص على أن سلطة الحاكم ليست فقط سياسية وأخلاقية بل أسطورية أيضاً.. وقد صاحبت تلك الأيديولوجية نظرة مقدسة للإمبراطور، فضلاً عن أسرته أيضاً، أما البوذية فأنها لم تخلو من رباط مقدس مع السياسة ، خاصة فى علاقتها مع الإمبراطور وأسرته، فقد ظهرت طوائف بوذية تنظر إلى الإمبراطور على نفس شاكلة بوذا وتعتقد فى اتحاد مملكة ياماتو الروحية الممثلة فى الإمبراطور وبين بوذا الإله – هوتوكيساما – HOTOKESAMA وقد أدى ذلك النسب الخرافى إلى وجود تبريرات شرعية تؤيد الجمع بين العقيدتين فى ثوب جديد دون حاجة إلى نزع الثوب القديم.

الفهرس

السيرة الذاتية للمؤلف

- ولد فى ٢٦/١/١٩٥٧ بمدينة السويس.
- تخرج من قسم اللغة اليابانية – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٩.
- سافر فى بعثة دراسية للحصول على الماجستير والدكتوراه عام ١٩٨٢
- التحق بجامعة أوساكا للغات الأجنبية عام ١٩٨٢ كطالب بحث.
- سجل للماجستير بالجامعة الدولية اليابانية عام ١٩٨٤.
- حصل على الماجستير عام ١٩٨٦
- سجل الدكتوراه عام ١٩٨٧ بجامعة تسوكوبا. أنهى دراسة الدكتوراه عام ١٩٨٩.

قام بمناقشة الدكتوراه بكلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٩٧ وحصل عليها بمرتبة الشرف الأولى